جـــامـــعـــة قـــاصـــدي مـــربـــاح ورقـــلـــة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم الفلسفة

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر
أكاديمي في الفلسفة
ميدان العلوم الإنسانية و الإجتماعية
شعبة الفلسفة
تخصص تاريخ الفلسفة

من إعداد الطالبتين :
محمدي سمية
بوسرية سناء

العنوان :

فلسفة التاريخ عند القديس أوغسطين

نوقشت وأجيزت بتاريخ 2017/05/18
أمام لجنة المناقشة:

- أ.العموري شهيدة .....رئيسا
- أ. برابح عمر ..... مناقشا
- أ. بن غزالة محمد الصديق .....مشرفا ومقررا

السنة الجامعية 2016-2017

سورة الزمر الآية(9).

الاهداء

أهدي هذا العمل إلى من أسرني نبع الحنان

وعلمني سبل العطاء أمي الغالية والحبيبة

" **سعدية براهيمي** "

إلى من شقي لتثقيفي وتنويري أبي العزيز

" **عمار بوسرية** "

إلى كل إخواني : شاكر ، وليد ، إبراهيم ، أكرم ، سعيد ، وأختي وهيبة وابنها لؤي ، وكذلك

إلى زوجة أخي الغالية فوزية وأبناءها زكريا وزينب

، أدعوا بالرحمة والغفران إلى روح "فاطمة الزهراء"

كما أتقدم بالإهداء إلى بيت جدي " **براهيم ناجي** " وكل أبناءهم

" **بوسرية ساعد** " وبإهداء خاص إلى السيد **خمقاني**

عبد القادر وكل معلمات مدرسة محمد شيباني ،

وأخيرا أشكرطلاب شعبة فلسفة وكل من ساعدني ومنحني

الثقة والشجاعة لإنجاز هذا العمل وخاصة

"**توار فاطمة الزهراء** ".

كل المحبة والتقدير والنجاح في الحياة .

إهداء

تبارك الذي أهدانا نعمة العقل وأنار سبيلنا بنور العلم ، ومهد لنا النجاح بكل عرفنا وتقدير

أهدي عملي هذا المتواضع إلى روح والدي رحمه الله وأسكنه فسيح جناته

وإلى أعز ما أملك ومالي في الوجود وأطال الله في عمرها أمي " سعيدة "

وإلى إخوتي الأعزاء حفظهم الله " عائشة " " آسية " " كريمة " " نادية "

والصغيرة " غفران" وإلى إخوتي الذكور " فارس " أسامة " أحمد " بلخير "

" لحسن" وكذالك أبناء إخوتي وخاصة الكتكوت الصغير "مبروك" .

كما أتقدم بالإهداء إلى أسرتي جدي " محمد الصغير " وإهداء خاص إلى من

منحني الثقة والشجاعة وساعدني في مشوار حياتي "شريف".

شكر و امتنان

يارب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت ولك الحمد بعد الرضى

الحمد لله

نتقدم بجزيل الشكر إلى أستاذ " بن غزالة محمد الصديق" على تفضله وإشرافه على هذه الدراسة وتوجيهاته كما نتقدم بشكر الخاص إلى كل أساتذة الفلسفة بكلية العلوم الإنسانية والإجتماعية

وإرجاع الشكر الكبير للأستاذة " لعموري شهيدة" كما نتمنى لها كل الخير من الله سبحانه وتعالى كذلك أساتذة فضلهم علينا " برابح عمر، كما نتمنى له التوفيق في شهادة الدكتور، كذلك دكتور أحمد زيغمي، و دكتور علي سعد الله ، رياض طاهير، بن قويدر عاشور، بوحفص ،

والشكر موصول إلى كل من ساعدنا لإنجاز هذا البحث

الفهرس

المحتوى	الصفحة
إهداء	
شكر وامتنان	
مقدمة	أ– د

الفصل الأول :في ماهية فلسفة التاريخ

المبحث الأول : مقاربة مفهومية لمصطلحي الفلسفة والتاريخ	7- 13
المبحث الثاني :منهج دراسة التاريخ وكتابته	13- 16
المبحث الثالث :مفهوم فلسفة التاريخ ونشأتها	17- 31

الفصل الثاني : القديس أوغسطين ومنهجه في دراسة التاريخ

المبحث الأول: حياة القديس أوغسطين	33-38
المبحث الثاني : منهج القديس أوغسطين في دراسة التاريخ	39- 50

الفصل الثالث :قراءة لاهوتية للتاريخ عند القديس أوغسطين

المبحث الأول : الإنجيل والتاريخ	52- 58
المبحث الثاني :العناية الإلهية عند القديس أوغسطين	58- 68
الخاتمة	70- 71
قائمة المصادر والمراجع	73- 76
ملخص الدراسة	

مقدمة

مقدمة :

من المعروف أن الدراسات التاريخية قد قطعت شوطا من النمو والتطور قبل أن تظهر فلسفة التاريخ بوصفها علما يسعى للبحث عن الأسباب والعلل التي تقف وراء أحداث التاريخ، فقد أثارت اهتماما كبيرا لدى الفلاسفة المعاصرين، وقلقا فكريا لدى المؤرخين وهي بدورها دراسة تاريخية قائمة على مبدأ التعمق في حركة البشرية.

فإن فلسفة التاريخ بصفتها فرعا من فروع الدراسات الإنسانية التي تسعى إلى فهم التاريخ ودراسته وفق مناهج العقل والعلم و أخذت أبعادها الواضحة منذ القرن الثامن عشر وهي بشكل عام تبحث في الوقائع التاريخية بنظرة فلسفية.

فالحقيقة أن التفلسف في الفكر قديم نادرا ما نجد مؤرخا تخلو مؤلفاته تماما من التأملات الفلسفية ذات الصلة بغاية التاريخ ، أو مسيرته ، فقد أشار بعض الباحثين إلى عدد من الأعلام الذين كانت لهم مساهماتهم في فلسفة التاريخ وكان من أبرز هؤلاء الأعلام :ابن خلدون ، فولتير ،القديس أوغسطين.وهذا الأخير نحن بصدد تقديمه في هذا البحث من أجل معرفة أفكاره التي تتمحور حول فهمه و تفسيره للتاريخ وغايته ،فان الأديان وبخاصة السماوية منها ، كاليهودية والمسيحية والإسلام قد تضمنت عقائد وأفكارا ذات صلة قوية بمباحث فلسفة التاريخ.

ومن خلال ماتم طرحه يمكننا أن نصوغ الإشكالية التالية:

ماهي أبعاد دراسة القديس أوغسطين لفلسفة التاريخ؟

وتتفرع عن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات التي سوف نحاول الإجابة عنها وهي كالآتي:

- ما هو مفهوم فلسفة التاريخ ؟
- من هو القديس أوغسطين ؟
- وما منهجه في دراسة التاريخ ؟
- وما طبيعة الفكر التاريخي عند القديس أوغسطين ؟

ولكي يكون البحث أكثر وضوحا اعتمدنا على جملة من المناهج, وهي كالآتي المنهج التحليلي: بغرض تحليل أهم الأفكار الفلسفية لأوغسطين، كذلك في تحليل النصوص الأصلية للقديس أوغسطين.

أما المنهج التاريخي: لضبط الجذور التاريخية لفلسفة التاريخ.

أما المنهج النقدي: فيظهر في انتقادات لأفكار القديس أوغسطين من طرف العديد من الفلاسفة.

أما عن خطة البحث المعتمدة فقد إلتزمنا بالخطة التالية والمكونة من مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

الفصل الأول إشتمل ثلاث مباحث ، تضمن المبحث الأول مقاربة مفهومية لمصطلحي الفلسفة والتاريخ ، و المبحث الثاني تضمن منهج دراسة التاريخ وكتابته ، وقمنا في المبحث الثالث بتحديد مفهوم فلسفة التاريخ ونشأتها.

أما الفصل الثاني كذلك قسمناه مبحثين, فتناول المبحث الأول حياة القديس أوغسطين ، واشتمل المبحث الثاني منهج القديس أوغسطين في دراسة التاريخ.

أما الفصل الثالث والأخير ، فقد قسمناه كذلك إلى مبحثين اشتمل المبحث الأول على الإنجيل والتاريخ ، وتناول المبحث الأخير العناية الإلهية عند القديس أوغسطين. وختمنا البحث بخاتمة تضمنت حوصلة على النتائج الجزئية التي استخلصنها من البحث , إضافة لفتح آفاق للبحث في موضوع القديس أوغسطين خاصة وفي مجال الدراسات القديمة الوسيطية عامة . و وضفنا في هذا البحث مجموعة من المصادر والمراجع الموضحة في نهاية البحث.

أما عن الأسباب التي دفعتنا إلى إختيار هذا الموضوع يمكن أن تقسم إلى أسباب ذاتية وأخرى موضوعية.

الأسباب الذاتية لاختيار الموضوع :

التوجه لدراسة الفلسفات القديمة والوسيطية التي تحقق أهداف في معرفة تاريخ الفلسفة والفكر الفلسفي عموما.

كذلك رغبتي الشخصية لمعرفة فكر أوغسطين التاريخي واللاهوتي.

أما عن الأسباب الموضوعية فهي كالتالي :

أن العصور الوسطى هي عصور التخلف والإنحطاط الفكري وإهتمت الدراسات حول المواضيع الخاصة بالعصور الوسطى من أجل معرفة هدا العصر وقلنا أن دراسة الماضي هو أساس فاعلية الحاضر وهو يدفعنا في صنع مستقبل أفضل.

أهمية الموضوع والطريقة التي استخدمها القديس أوغسطين في دراسته هذا ما يزيدها إبداعا خاصة في الفترة التي ظهر فيها , كذلك إثراء المكتبة الفلسفية .

وتتمثل أهداف الدراسة في :

التعرف على فلسفة التاريخ بإعتبارها دراسة تختص بتاريخ الحياة البشرية.

محاولة معرفة كيف كانت دراسة القديس أوغسطين في تفسيره للتاريخ.

أما الصعوبات التي واجهتنا في الدراسة فتتمثل في:

إتساع فكر القديس أوغسطين لمواضيع مختلفة و طريقة وضع خطة ملمة بالموضوع ،ولكن بفضل ربي والحمد لله تجاوزنا هذه الصعوبات بكل جهد مضاعفا ودراسة الموضوع بكل جوانبه.

الفصل الأول: في ماهية فلسفة التاريخ

المبحث الأول : مقاربة مفهومية لمصطلحي الفلسفة والتاريخ

المبحث الثاني: منهج دراسة التاريخ و كتابته

المبحث الثالث: مفهوم فلسفة التاريخ و نشأتها

الفصل الأول: في ماهية فلسفة التاريخ

تمهيد

سنعرض في هذا الفصل المعنى اللغوي و الاصطلاحي لكلا المصطلحين الفلسفة والتاريخ، كذلك سنتعرف على منهج دراسة التاريخ وما هي قيمة كتابته؟ ثم ننتقل إلى مفهوم فلسفة التاريخ كوحدة متكاملة، وماهي أسباب التي أدت إلى نشأتها ؟ وما هو تاريخ ظهورها ؟.

المبحث الأول : مقاربة مفهومية لمصطلحي الفلسفة والتاريخ

المطلب الأول: مفهوم الفلسفة

أ- **لغة:**

"إن الفلسفة كلمة يونانية قديمة مركبة من مقطعين فيلو" Filo " ومعناه محبة و صوفيا" Sophia" ومعناه حكمة أو معرفة"[1]، ومن ثم فإن الفلسفة وفقا لمعناه الاشتقاقي هي محبة الحكمة أو السعي إلى المعرفة.

ب-اصطلاحا:

تعنى دراسة المبادئ الأولى وتفسير المعرفة تفسيرا عقليا وكانت تشمل العلوم جميعا واقتصرت في هذا العصر على المنطق والأخلاق وعلى الجمال وما وراء الطبيعة.[2]فقد حصر"

[1]- حسن علي ، **ماهي الفلسفة ؟** ،(دار التنوير للنشر ، بيروت ، د ط ، 2011 م) ص 11.
[2]- عبد الحليم عويس، **فلسفة التاريخ**، (دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 2011 م) ص 9 .

سقراط Socrates "(*) مثلا مهمة الفلسفة في دراسة الحياة الاخلاقية ,وذهب إلى أن الحياة التي لا يتم فحصها غير جديرة بأن يحياها الإنسان.

كما نجد مصطلح الفلسفة اتسع عند" أفلاطونPlaton "(**) و"أرسطوAristote"(***) بحيث أصبحت دراسة للكون وكل مناحي الحياة الإنسانية ومحاولة للوصول إلى الحقيقة في كل مجال من هذه المجالات. بغض النظر عن المنافع العلمية المترتبة عن معرفة الحقيقة. كما اهتمت في العصور الوسطى بالبرهنة على صحة القضايا الدينية ،كوجود الله، وخلود النفس...إلخ، كما حاولت التوفيق بين العقل والنقل أو الحكمة والشريعة.[1]

كما نجد "شيشرون Marcustullius cisero (****): يرى أن الفلسفة هي المدبرة لحياة الإنسان بما تقدمه من قواعد السلوك وتعريفه معاني الحق والواجب، والخير والشر والفضيلة

(*) – سقراط : فيلسوف يوناني ولد في ألوبيكة بأتيكا نحو عام (470 - 399ق . م) راجع ،جورج طرابيشي، **معجم الفلاسفة**، (دار الطليعة، بيروت ،ط 3، د ت) ص 365.

(**)- أفلاطون: فيلسوف مثالي يوناني،(427 - 347 ق . م) راجع . خلف الجراد، معجم الفلاسفة المختصر، (المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط1، 2007م)، ص 23.

(***)- أرسطو: فيلسوف وعالم موسوعي ومؤسس علم المنطق،(384- 322 ق. م) راجع. روزنتال يودين ، **الموسوعة الفلسفية**، تر، سمير كرم، (دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ، ط1، 1974م) ص 19.

(1) - حسن علي, مرجع سابق, ص 14.

(****)- شيشرون: (106 – 43 ق.م) خطيب وساسي وكاتب روماني ،راجع .عبد الرحمان بدوي ، موسوعة الفلسفة ، ج2 ، (المؤسسة العربية ، بيروت ، ط 1 ،1984 م) ص137 .

والرذيلة وما يؤدي أن يتحلى به أو يتخلى عنه بحيث يسلك مع أقرانه من البشر المسلك الذي يلائم الخلق القويم والسلوك المستقيم.[1]

كما نجد "ابن سينا "[*]: يرى أن الغرض من الفلسفة الوقوف على حقائق الأشياء كلها أكان وجودها باختيارنا أم خارجا عن إراداتنا، وهي نظرية وعملية، ويضع تحت العملية تدبير المدينة وتدبير المنزل والأخلاق ,ويشبه "ديكارت Decartes"[**] الفلسفة بشجرة جذورها الميتافيزيقا ،ومن جذورها انبثقت فروع شتى (مبادئ الفلسفة).[2]

المطلب الثاني: مفهوم التاريخ

توجد العديد من التعريفات لعلم التاريخ تعددت على مر التاريخ بمختلف المدارس و الإتجاهات وانطلقت نحو أوسع الآفاق حيث يعرف التاريخ :

---

[1] حسن علي ،مرجع سابق 14.

[*]- ابن سينا : (980-1037م) ، فيلسوف وطبيب وعالم طبيعي وشاعر بآسيا الوسطى ، راجع . جورج طرابيشي ، مرجع سابق ، ص 26.

[**] - ديكارت : (1596-1650 م) ، فيلسوف فرنسي كبير ويعد رائد الفلسفة في العصر الحديث حيث كرس نفسه للبحث العلمي والفلسفي ولما إضطهده اللاهوتيون إنتقل إلى السويد في 1649 وقد أتبع "التأملات" في سنة 1644 بكتاب مبادئ الفلسفة ، راجع . عبد الرحمان بدوي موسوعة الفلسفة ، ج1 ، (المؤسسة العربية الدراسات والنشر ، بيروت ، ط1 ، 1984 م) ص 488 .

[2] - ابراهيم مدكور ، **المعجم الفلسفي** ،(الهيئة العامة لشوؤن المطابع الأميرية ، القاهرة ، د ط ، 1983 م) ص 138 .

أ-لغة:

أن كلمة " استوريا Historia " يونانية الأصل، ويعود هدا الاشتقاق اللفظي لكلمة "Istoria" إلى القرنين السادس والخامس قبل الميلاد،[1] حيث أن كلمة "استور Histor " تعني الرؤية والمشاهدة أو الاستقصاء بقصد المعرفة.[2]

ويعتقد بعض المؤرخين أن كلمة التاريخ لفظ عربي خالص يعني الإعلام بالوقت, و تاريخ الشيء وغايته،[3] ، و هناك من يعتقد أن كلمة التاريخ فارسية الأصل، وأن العرب أخذوها عن الفرس.[4]

وعلى العموم فإن التاريخ يعني لغويا التوقيت أي تحديد زمن الأحداث وأوقات حدوثها.

ب- اصطلاحا:

"التاريخ هو دراسة التطور البشري في جميع جوانبه السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية و الفكرية و الروحية، أيا كانت معالم هذا التطور وظواهره و اتجاهاته".[5]

وهذا يعني أن التاريخ هو دراسة الحياة البشرية أي دراسة التطورات والتغيرات الحاصلة ، وذلك من خلال مجالات الحياة الإنسانية التي يعيشها الإنسان.

---

(1)- مصطفى النشار ، **من التاريخ الى فلسفة التاريخ** ، (دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، د ط ، 1998 م) ص10.

(2)- رأفت غنيمي الشيخ، **فلسفة التاريخ** ،(دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، د ط، 1981 م) ص 7.

(3)- جميل صليبا ، **المعجم الفلسفي** ، (دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، د ط ، 1982 م) ص 227.

(4)- رأفت غنيمي الشيخ، مرجع سابق، ص 8.

(5)- رفات الشيخ ، **تفسير مسار التاريخ** ، (القاهرة ، د ط ، 2000 م)، ص 7.

– أن كلمة "التاريخ تعني مجموعة الحوادث التي ظهرت في حياة البشرية كما أنها تعني الإلمام بتلك الأحداث".[1]

ـ وكذلك" أن التاريخ يشتمل على معلومات التي يمكن معرفتها على نشأة الكون كله بما يحتويه من أجرام وكواكب، و من بينها الأرض و ما جرى على سطحها من حوادث الإنسان ومن أمثال ذلك نجد:

المؤرخ الانجليزي **هربرت جورج يلز** "**Herbert George Wells**" يبدأ كتابه المسمى "موجز تاريخ العلم" بدراسة نشأة الكون والأرض وما ظهر على سطحها من مظاهر الحياة المختلفة".[2]

ـ ويعرف أيضا:"أنّ التاريخ وعاء البشرية أو هو العلم الخاص بالجهود البشرية في الماضي وتستهدف منها جهود المستقبل، فالتاريخ يتناول الأمة من الأمم بالتنقيب في طوايا فكرها و مدى ارتباط ذلك الفكر بالدنيا و الحياة، ثم اتصاله بسيرة الإنسان في الأرض وجهوده المتصلة لرفع شأنه اقتصاديا وعلميا وفكريا، ومدى ارتباط ما في الأمم بحاضرها، وحاضرها بمستقبلها".[3]

و يمكن لنا القول أن التاريخ بدأ يظهر في حيز الوجود في صورة بدائية أولية منذ أخذ الإنسان البدائي من فجر المدينة يقص على أبنائه قصص أسلافه ممتزجة بأساطيره ومعتقداته، لأنه سر الأحداث حسب تسلسلها الزمني حتى أصبح التاريخ مختلطا بالفن كالرسم والنقش على

(1) ـ رأفت غنيمي الشيخ، **فلسفة التاريخ**،مرجع سابق، ص 7.
(2) ـ حسن عثمان، **منهج البحث التاريخي**، (دار المعارف للنشر، القاهرة,ط 8، 1119 م) ص 11.
(3) ـ رأفت غنيمي الشيخ ، **فلسفة التاريخ** ، مرجع سابق، ص 8.

الحجر، ومع تطور الحضارة أخذ التاريخ يتشكل أساسا جوهريا في تسجيل البشرية، و هذا يعني أن التاريخ هو مرآة و السجّل و الكتاب الشامل الذي يقدم لنا ألوانا من الأحداث وفنونا من الأفكار وصنوفا من الأعمال و الآثار.

ـ كما "أن التاريخ يكمن في أن الماضي الذي يبحث فيه المؤرخ ليس ماضيا ميتا ولكنه ماضي في بعض الاعتبارات مازال حيا في الحاضر، وإن كان الفعل أو الحدث الماضي يعتبر ميتا دون معنى عند المؤرخ مالم يستطيع المؤرخ أن يدرك ويفهم الأفكار التي وراء هذا الحدث."[1]

وعلى هذا يمكن القول أن التاريخ هو تاريخ الفكر؛ بمعنى أن التاريخ يشمل الماضي و الحاضر و المستقبل، و لا يوجد فاصل بينهما لأننا إذا دققنا النظر يتبين لنا ألا شيء في الوجود يتلاشى مع الزمن أي أن أحداث الماضي تبقى راسخة وكذلك أحداث الحاضر عندما يأتي المستقبل؛ إذن يعلمنا التاريخ أن لكل زمان ومكان ظروفه وأفكاره وقيمه وأساليبه في التفكير في العمل وأن الجنس البشري في تطوره عبر العصور التاريخية قد أدخل تعديلات جوهرية على أساليبه ووسائله في مواجهة المشكلات ، ودراسة التاريخ توقفنا على جذور المشكلات الحاضرة وتزيد من فهمنا لها.

نستنتج إذن أن علم التاريخ: هو ذلك الفرع من المعرفة التي يستهدف جمع المعلومات عن الماضي وتحقيقها وتسجيلها وتفسيرها، فهو يسجل أحداث الماضي في تسلسلها و تعاقبها، ولكنه لا يقف عند تسجيل هذه الأحداث، وإنما يحاول عن طريق إبراز الترابط بين هذه

[1]- رأفت غنيمي الشيخ، مرجع سابق، ص 9. '

الأحداث وتوضيح العلاقة السببية بينها أن يفسر التطور الذي طرأ على حياة الأمم والمجتمعات والحضارات المختلفة وأن يبين كيف حدث هذا التطور ولماذا حدث؟.

"وهو عندما يفعل ذلك يبدو علما سكونيا كالجغرافيا الوصفية ، ولكن عندما ننتقل لاستكشاف القوانين و الاستفادة منها يتحول إلى علم حركي ديناميكي كتحويل الجغرافيا إلى "**الجيوبولتيك**"(*).[1]

وهكذا فإن المؤرخين والكتاب قد اختلفت وجهات نظرهم في إعطاء انطباع محدود للتاريخ و مفهومه، و بقيت هذه النظرة سائدة إلى فترة متأخرة من القرن التاسع عشر عندما ظهر اتجاه جديد لدراسة التاريخ في أوروبا يحاول أن يعطي للتاريخ مفهوما جديدا بالاستعانة بالمناهج الفلسفية.

المبحث الثاني: منهج دراسة التاريخ و كتابته

منهج البحث التاريخي:

هو المراحل التي يسير خلالها الباحث حتى يبلغ الحقيقة التاريخية، بقدر المستطاع و يقدمها إلى المختصين بخاصة والقراء بعامة وتلخص هذه المراحل في تزويد الباحث نفسه بالثقافة اللازمة له، ثم اختيار موضوع البحث، وجمع الأصول و المصادر و إثبات صحتها، و تعيين شخصية المؤلف وتحديد زمان التدوين ومكانه، وتحري نصوص الأصول وتحديد العلاقة

(*)- **الجيو بولتيك أو الجغرافيا السياسية**: دراسة الإقليم وموقعه وخصائصه وعلاقته وتطور المفهوم ليشمل فهم الجغرافيا كوسيلة لتحقيق طموحات الإقليم القومية والسيطرة على مقدرات الآخرين وتسخيرها لمصلحة أمة معينة مما أعطى المفهوم بعد آخر، راجع، جاسم سلطان ، **أداة فلسفة التاريخ** ، ص16.

(1)- مرجع نفسه، ص 16.

بينهما، ونقدها نقدا باطنيا و إيجابيا و سلبيا ، وإثبات الحقائق التاريخية وتنظيمها وتركيبها والاجتهاد فيها و تعليلها وإنشاء الصيغة التاريخية، ثم عرضها عرضا تاريخيا معقولا.[1]

وينبغي أن نلاحظ أنه ليس المقصود **بالحقيقة التاريخية** الوصول إلى **الحقيقة المطلقة**، إذ أن هذا الأمر غير مستطاع لعوامل مختلفة مثل ضياع الأدلة، وانطماس الآثار، ومثل الأغراض والمصالح، ومن ذا الذي يمكنه أن يعرف الحقيقة المطلقة في الماضي أو الحاضر ؟ و هل يمكن للإنسان أن يعرف حقيقة صحيحة ذاته تمام المعرفة ؟ فالحقيقة التي يصل إليها المؤرخ هي حقيقة صحيحة نسبيا، وكلما زادت نسبة الصدق فيها اقترب التاريخ من أن يصبح تاريخا بالمعنى الصحيح، في حدود إمكانه، وحينما يعكف المؤرخ على دراسة التاريخ، لن يجد الوقائع أو الحوادث ماثلة أمامه، وعليه عندئذ أن يتجه إلى دراسة وفحص مخلفات الإنسان وآثاره من كتابات ونقوش ومصنوعات ومنشآت، وآثار الإنسان كلها، تحمل بين طياتها أسرار الحوادث وخفايا التاريخ. وهي تظل أبدا صامتة لا تبوح بأسرارها، إلى أنيتمكن المؤرخ بالدراسة الطويلة وبالتأمل العميق من أن يحملها على النطق، وعلى التعبير عن أسرارها وخفاياها.[2]

ومن الأمثلة التي تساعدنا على إدراك ما يواجه المؤرخ من الصعوبات نذكر ما يلي:

أن بعض آثار الإنسان قد تشيد للمبالغة و التعظيم مثل(أقواس النصر) التي أقامها نابليون في بعض الولايات الألمانية، والتي لا تدل حتما على أنه أصبح سيد أوروبا على الدوام وأحيانا قد يعثر المؤرخ على وثائق مزيفة سواء أكان دلك بقصد الدعاية أم الدفاع عن فكرة

---

[1] ـ قاسم يزبك، **التاريخ منهج البحث التاريخي**، (دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1990م) ص 26.

[2] ـ حسن عثمان، **منهج البحث التاريخي**، مرجع سابق، ص ص 20 - 21.

معينة أم من أجل الشهرة ، أم للإتجار و الكسب، وعلى ذلك ينبغي أن تدرس آثار الإنسان ومخالفاته بروح النقد والحذر.[1]

وتتحدد قيمة التاريخ المكتوب بناء على بعض الأسس الجوهرية:

أولا: "ينبغي على الباحث أن يفحص نوع المادة التي استقى منها معلوماته أهي نقوش أو آثار قديمة معاصرة ثبتت صحتها وصحة معلوماتها".[2]

والمقصود من هذه الفكرة ينبغي على الباحث أن يفحص نوع المادة التي أخذ منها معلوماته مثلا: أهي أصول ووثائق ومراسلات مستخرجة من الأرشيف وثبت أنها غير مزيفة، وأن معلوماتها صحيحة ، وأنه لم يسبق نشرها أو على الأقل لم يسبق استخدمها بدرجة كافية أم أن المادة التي اعتمد عليها الباحث هي مجرد مراجع ثانوية ليست ذات قيمة علمية.

ثانيا : "تتحدد قيمة التاريخ المكتوب بناء على قدرة الباحث على الدرس والبحث، وقدرته على نقد ما تحت يده من الأصول والمصادر والمراجع وطريقته في استخلاص الحقائق بحسب اختلافهم في الفهم والتفسير والاستنباط ".[3]

ونستنتج من الفكرة الثانية أن الباحثون يضطرون أحيانا في التاريخ إلى وضع افتراضات مختلفة لمحاولة فهم مسألة تاريخية تواجههم فيها غوامض وفجوات. حيث يقدم المؤرخ آراء ووجهات نظر مختلفة متفاوتة عن عصر أو ناحية معينة، مما تجعل البحث التاريخي مستمرا على الدوام باحتمال ظهور أدلة جديدة.

---

[1]- حسن عثمان، مرجع سابق، ص 21.
[2]- مرجع نفسه، ص21.
[3]- مرجع نفسه ، ص 22.

ثالثا: "تتحدد قيمة التاريخ المكتوب بناء على بعد الباحث عن التحيز والأهواء ومطابقته للواقع بقدر المستطاع، وأحيانا يتأثر الباحث بروح عصر معين مثل الحروب الصليبية أو عصر الانقلاب الصناعي أو نمو الديمقراطية أو ظهور الاشتراكية فيكتب وهو يحاول إخضاع الموضوع المعين لرأيه وفكره ، فالكتابة التي يتعمد فيها الكاتب أن يتخذ اتجاها معينا، قد تعد تاريخيا النوع من التفكير أو النزعات الإنسانية الجديرة بالدراسة، ولكن لا يمكن أن يعد ما جاء بها معبرا عن الحقيقة التاريخية، بالنسبة لما تناولته من الموضوعات".[1]

ونستخلص من الفكرة الثالثة أن الباحث يجب عليه الابتعاد عن التحيزات من العواطف والمشاعر وربط أحداث التاريخ بالواقع أثناء بحثه التاريخي؛ إذن إن قيمة التاريخ المكتوب تتحدد بناء على ثقافة الباحث وإلمامه بطريقة البحث التاريخي، وكثير من كتب التاريخ تعد من أمتع ثمرات العقول لنضج عقلية المؤرخ، وثقافته الواسعة، وخبرته الوطيدة ، ونجاحه في إعطاء وحدة واضحة وأن يملك النقد ، وعلية أن يتصف بالصبر والصدق.

[1]- حسن عثمان، مرجع سابق، ص23.

المبحث الثالث: مفهوم فلسفة التاريخ و نشأتها.

المطلب الأول: مفهوم فلسفة التاريخ.

لقد حصل جدال واسع حول مفهوم "**علم التاريخ**"، وهذا ينعكس أيضا حول مصطلح "**فلسفة التاريخ**" الذي فيه الأخذ والرد في وجهات النظر وحول دراسة التاريخ في المستقبل بصورة فلسفية.

فلسفة التاريخ "Philosophie De L'histoire": "هي البحث في المبادئ العامة التي تخضع لها تطور الم.جتمعات البشرية, وهي تعنى بتفسير مجرى التاريخ في ضوء نظرية عامة. على أنه كل مقسم إلى أحداث، وتضع لعلم التاريخ أساسا فلسفيا بتمحيص المنهج الذي يصطنعه المؤرخين وبمناقشته وتحليل المصادر ودراسة مصطلحات المؤرخين".[1]

و من خلال هذا التعريف يتبين لنا أن فلسفة التاريخ غرضها البحث في الأساسيات الكلية التي تتقيد بها المجتمعات البشرية أثناء تطورها، ففلسفة التاريخ هي فكرة التاريخ لديه مسيرة أو مجرى،كما تعالج قضية علم التاريخ ومعنى التاريخ باعتباره أسلوبا فكريا لتفسير أحداث التاريخ، كما تعالج الفلسفة كعلم وصلتها بالتاريخ وموقف المؤرخين من الفلسفة وموقف الفلاسفة من التاريخ.

-**وبتعريف آخر**: "إن فلسفة التاريخ في أبسط تعريف لها، عبارة عن النظر إلى الوقائع التاريخية بنظرة فلسفية ، ومحاولة معرفة العوامل الأساسية التي تتحكم في سير الوقائع التاريخية والعمل

[1]- ابراهيم مدكور، **معجم الفلسفي**، مرجع سابق ، ص 139.

على استنباط القوانين العامة الثابتة التي تتطور بموجبها الأمم والدول على مر القرون و الأجيال. وهناك من يقول أن التاريخ يسير وفق مخطط معين وليس بطريقة عشوائية، وأن فلسفة التاريخ هي محاولة معرفة هذا المخطط الذي يتبعه التاريخ في مساره، أو الاتجاه الذي يتجه إليه ، أو الغاية التي عليه في النهاية تحقيقها، فيقول "**لوران** Louran" في كتابه "عن فلسفة التاريخ" إن التاريخ لا يمكن أن يكون مجموعة أحداث تتولى بدون هدف أو معنى آخر, فهو لابد أن يخضع للقوانين التي تحكمها وأختار الله كمتحكم في سير التاريخ".[1]

والمقصود من قول لوران أنه ينفي أن يكون التاريخ مجموعة من الوقائع والأحداث أن تكون بدون غاية ،ولابد للتاريخ أن يخضع للقوانين تتحكم فيه وهو بدوره اختار الله لأنه يرى أن الأحداث التاريخية تسير بمشيئة الله وإرادته.

و في هذه الحالة تكون فلسفة التاريخ هي رؤية المفكر للتاريخ وحكمه عليه، ويمكن أن ينظر إلى فلسفة التاريخ بمنظورين أساسيين:

أ)ـ المنظور الأول: يجعل فلسفة التاريخ دراسة للمناهج البحث، أي الطرق التي يمكن أن يكتب بها التاريخ وكيفية التحقق من صحة الوقائع التاريخية ومناقشة فكرة الموضوعية في التاريخ، وهذا يعني فحصا نقديا دقيقا للمنهج المؤرخ.

ب) ـ المنظور الثاني: يسمى بالنشاط التركيبي, وفيه لا يدرس الفيلسوف مناهج البحث في التاريخ وإنما يقدم وجهة نظر عن مسار التاريخ ككل، وفي هذا المنظور يجب أن نلاحظ

[1]ـ زينب محمود الخضري ، **فلسفة التاريخ عند ابن خلدون**، (دار الثقافة للنشر و التوزيع ،القاهرة، دط، 1989 م) ص 64.

خاصية أساسية للموقف الفلسفي الذي يدرس الموضوع ككل في المقابل الموقف العلمي الذي يهتم بشريحة معينة يجعلها موضوع دراسته وبحثه.[1]

و من هنا نستنتج أن مفكر التاريخ يمكن أن يعالج فلسفة التاريخ من وجهتين فالوجهة الأولى تجع فلسفة التاريخ ترتكز على مناهج البحث؛ أي يعني بها دراسة نقدية صحيحة ، أما الوجهة الثانية فيستغني فيها الفيلسوف على مناهج البحث ويقدم رأيه الخاص في تفسير مسار التاريخ.

و يمكن القول بأن كلمة التاريخ تحمل معنيين:

أ)ـ **المعنى الأول:** يتمثل في أحداث التاريخ التي وقعت في الماضي

ب)ـ **المعنى الثاني:** يتمثل في روايتنا نحن لهذه الأحداث.

ـ وبالتالي يكون هناك مجالين للتاريخ :

أ)ـ **المجال الأول:** يبحث في مسار التاريخ ذاته وتطوره.

ب)ـ**المجال الثاني:** يعني بالفكر الفلسفي في حد ذاته.[2]

وعلى هذا فيمكن لنا تحديد مقولات فلسفة التاريخ:

أولا: مقولة الكلية:

"ويقصد بها أن حوادث التاريخ تبدو أمام نظر الفيلسوف أشتاتا لا رابط بينهما وأكواما تتراكم بعضها أثر بعض، إنه يرفض أن يكون التاريخ فوضى من المصادفات العمياء، كوارث تلاحق بعضها في أثر بعض، فيطلب الفيلسوف الوحدة العضوية بين هذه الأجزاء، ومن ثم فإن

(1)ـ رأفت غنيمي ، **تفسير مسار التاريخ** ، مرجع سابق ص 23.
(2) ـ رأفت غنيمي الشيخ، **فلسفة التاريخ** ، مرجع سابق ، ص 15.

نقطة البدء في فلسفة التاريخ تكامل بين الأجزاء وترابط بين الوقائع ويتشكل من ذلك كله ما يسمى بالتاريخ العالمي الذي يصبح مادة الفيلسوف".[1]

"فلسفة التاريخ لا تقف عند عصر معين ولا تكتفي بمجتمع خاص وإنما تضم العالم كله في إطار واحد من الماضي السحيق حتى اللحظة التي يدون فيها الفيلسوف نظريته، بل قد لا يقتنع بذلك إنما يمتد تفسيره إلى المستقبل، بذلك يشعر فيلسوف التاريخ أنه قد أوجد الوحدة بين الأشتات".[2] ومن هنا يتضح لنا أن المؤرخ يتجاوز في فلسفة التاريخ الوقائع الجزئية إلى التاريخ العالمي.

ثانيا: مقولة العلية:

"يلجأ المؤرخ في التاريخ العادي إلى التعليل ، ولكنه يتقيد دائما استنباطه للأسباب بواقعة جزئية ملتزما بأطر التاريخ أو مقولاته من فردية وزمان ومكان، أما فيلسوف التاريخ يلجأ إلى اختصار العلل الجزئية للأحداث التاريخية إلى علة واحدة أو علتين، يفسرفي ضوئها التاريخ العالمي".[3]

إذن يمكن القول أن مقولات فلسفة التاريخ تختلف عن مقولات التاريخ اختلافا جوهريا فلقد استبدلت الكلية بالفردية وتجاوزت فلسفة التاريخ مقولتي الزمان والمكان إلى ما وراء الزمان و المكان ، أي نحو الماضي ثم الحاضر من أجل فهم أوسع وتعمق في المستقبل.

---

[1] ـ أحمد محمود صبحي، **في فلسفة التاريخ**، (مؤسسة الثقافة الجامعية ،الإسكندرية،د ط، 1970 م) ص 124.
[2] ـ هاشم يحي الملاح ، **المفصل في فلسفة التاريخ**،(دار الكتب العلمية ، بيروت، ط 1 ، 2007م) ص 181.
[3] ـ أحمد محمود صبحي،مرجع سابق،ص 125.

ـ **وعلى سبيل المثال:** "فقد لجأ القديس أوغسطين إلى تفسير تاريخ العالم منذ خلق الله آدم وحتى يوم القيامة إلى علة واحدة هي (العناية الإلهية)"،[1] وسعى آخرون إلى تفسير التاريخ استنادا إلى العامل الجغرافي أو القومي أو النفسي أو الاقتصادي... الخ.

كما نجد ابن خلدون "أنه أخذ من الفلسفة نظرتها العقلية التعميمية ومن التاريخ واقعيته ليكون منهما علما واحدا يجذب فيه التاريخ الفلسفة إلى عالم الوقائع، وتعمق فيه الفلسفة من التاريخ حتى لا يصبح مجرد روايات وسرد أخبار. و إذا كانت آراء ابن خلدون أن تدرج في فلسفة التاريخ فهي لا بد أنها خاضعة لمقولاتها الكلية والعلية".[2]

نلاحظ هنا أن فلاسفة التاريخ يحاولون تفسير تاريخ الإنسانية استنادا إلى عامل واحد يعتقدون أنه هو المحرك المركزي لأحداث التاريخ وهم يختلفون في تحديد هذا العامل بحسب اختلاف الفلسفات التي ينطلقون منها في فهم التاريخ. وهذا التوجه يحملهم على الابتعاد عن الدقة في دراسة أحداث التاريخ فيأخذون منها ما يؤيد فلسفتهم الخاصة ويستبعدون منها ما يتعارض معها، وبذلك يقدمون صورة عقلية للتاريخ لا تطابق التاريخ الحقيقي.

ولقد أدى هذا إلى غالبية المؤرخين وبعض المفكرين والفلاسفة على رفض هذه الصورة من صور فلسفة التاريخ ووجّهوا لها انتقادات شديدة.وتركزت هذه الانتقادات إلى كلتا المقولتين التي استندت إليهما فلسفة التاريخ وهما "**الكلية**" و"**العلية**".

---

[1] ـ أحمد محمود صبحي، مرجع سابق، ص 139.

[2] ـ رأفت غنيمي الشيخ، مرجع سابق، 26

لقد وصف أحد الباحثين " فلاسفة التاريخ وهم يحاولون رسم معالم تاريخ شامل للإنسانية بأنهم يقيمون أبنية ضخمة لا تمكن للمادة التاريخية من تحقيقها، ومثلهم كمثل من يريد تشييد برج ايفل بأحجار قليلة".[1] والمقصود من هذا القول هو اتهام فلاسفة التاريخ بالشمولية في فلسفة التاريخ، وأن مادة التاريخ لا تستوعب الكثير من أفكارها.

كما انتقدهم" **كروتشه** Crose"[*] ، بقوله : "نحن لا نعرف إلا ما هو جزئي، وما هو محدود، ونرفض ما لا نستطيع أن نملكه، ولا نملكه لأننا لا نستطيع أن نحدده. و قال أن هؤلاء يتصورون نموذجا مثاليا يصلح لكل البشر في كل زمان ومكان، وعندما حاولوا أن يفسروا ويمزجوا بين ماضي البشري والمستقبل شبه أفكارهم بالخيال والتصور".[2]

فقد لاحظ " **كروتشه**" أن فلاسفة التاريخ قد تجاهلوا وقائع التاريخ الفعلي لتعليل الأحداث التاريخ وأنهم أقاموا إدعاءا مسبقا اعتبروه علة مختزلين سائر العلل. و لما كانت علة واحدة لا تصلح لتفسير جميع وقائع التاريخ، فإن هؤلاء الفلاسفة يحاولون سد الثغرات بفروض تعسفية عن عصور ما قبل التاريخ أو عن تنبؤات مستقبلية لم تحصل.

أما" **تشارلز أومان** Charles Oman " ، فقد وصف فلاسفة التاريخ بأنهم : "أعداء التاريخ اللاجئون إلى التعميم ليستروا جهلهم الفاضح بتفصيلات الوقائع التاريخية، وهم بأفكارهم المسبقة هذه يتخيلون تصورات أحيانا خارج نطاق الأحداث" .[3]

---

[1] - هاشم يحي الملاح ، مرجع سابق، ص 182..

[*] - كروتشه : (1866- 1952)، فيلسوف إيطالي من أنصار الهيغلية الجديدة ، راجع. خلف الجراد، **معجم الفلاسفة المختصر**، مرجع سابق، ص 182.

[2] - مفيد الزيدي، **المدخل إلى فلسفة التاريخ** ، (دار المناهج للنشر و التوزيع، الأردن،ط 1، 2006 م) ص ص 7 - 8.

[3] - مرجع نفسه، ص 8.

نستنتج إذن أن فلسفة التاريخ: هو ذلك العلم الذي يحاول أن يكتشف القوانين الموجهة لحركة المجتمعات و الدول والنهضات وأسباب صعودها وهبوطها ،وليست وظيفة هذا العلم قاصرة على توظيف هذه القوانين ولكنها كأي علم أخر يسعى لاكتشاف القوانين من أجل استخدمها وتوظيفها لمعالجة الظواهر القائمة والمستقبلية.

المطلب الثاني: نشأة فلسفة التاريخ

من المعروف أن الدراسات التاريخية كانت قد قطعت شوطا طويلا من النمو والتطور قبل أن تظهر فلسفة التاريخ بوصفها علما مستقلا يسعى إلى البحث عن الأسباب والعلل التي تقف وراء أحداث التاريخ. ولقد حاولنا البحث عن الأسباب التفصيلية التي أدت إلى نشأة فلسفة التاريخ، جاز لنا الإشارة إلى الأسباب الآتية:

أولا: أسباب نشأة فلسفة التاريخ

أ)ـ لاحظ "**ديكارت**" (Descartes)، أن التاريخ يشد المؤرخ إلى الماضي حتى يصبح ألفته غريب عن الحاضر، لذا كان من الضروري بالنسبة إلى المؤرخ أن ينفتح على الحاضر وعلى الأفكار الفلسفية المعاصرة كي يستطيع أن ينظر إلى الماضي بطريقة متوازنة وأن يستطيع أن يستخرج العبر التي تفيد الناس في الحاضر والمستقبل".[1]

[1]ـ هاشم يحي الملاح، مرجع سابق، ص 177.

ب)ـأوضح "فولتيرVoltaire"[*] أن هدف فلسفة التاريخ هو اكتشاف الحكمة أو المعنى الذي تتحرك أحداث التاريخ من أجل تحقيقه لأنه وجد أن ما يكتبه المؤرخين لا يحقق هذا الغرض، وقد عبر عن ذلك بقوله: "بعد قراءة وصف مابين ثلاثة آلاف وأربعة آلاف معركة، وبضع آلاف من المعاهدات لم أجد نفسي أكثر حكمة مما كنت قبلها حيث لم أتعرف إلا على مجرد حوادث لا تستحق عناء المعرفة"، لذا فقد دعا إلى تطبيق الفلسفة على التاريخ،[1] و قال: "لا ينبغي أن يكتب التاريخ سوى الفلاسفة, لقد شوهت الأساطير التاريخ عند كل الشعوب".[2]

ج) ـ أن المؤرخ الذي يعيش تحت وطأة الماضي دون الانفتاح على الحاضر يصاب بحالة شبيهة بالمرض, وقد أسماه "نيتشهNietzsche"[*] (داء التاريخ) ،المقصود بها هنا آفة العقل الذي يمنح ولاءه الكامل للماضي فيفقد قدرته على التفكير المستقل والإبداع، وهكذا فإن فلسفة التاريخ تعوض عن قصور لدى المؤرخين إذ تجعل لوقائع التاريخ المتراكمة المتتالية معنى ومغزى.[3]

و في الأخير نستنتج أن السبب الأساسي لنشأة فلسفة التاريخ هو قصور المادة التاريخية عن اكتشاف مسار التاريخ وغايته, فجاءت فلسفة التاريخ لتقدم العون والمساعدة للمؤرخين من أجل بلوغ هذا الهدف.

(*)ـ فولتير :(1694- 1778م) ، كاتب فرنسي وفيلسوف ومؤرخ وأحد زعماء الحركة التنوير الفرنسية، راجع روزنتال يودين مرجع سابق ، ص ص 357- 358.

(1) _ هاشم يحي الملاح، مرجع سابق، ص 178.

(2) - ول ديورانت ، **قصة الفلسفة** ، تر، فتح شعشع الله ،(مكتبة المعارف للنشر ،بيروت ، د ط، 1972) ص 274.

(*)ـ نتشه : فيلسوف مثالي ألماني ورائد للأيديولوجية الفاشية ، راجع روزنتال يودين، مرجع سابق ، ص 553.

(3) - هاشم يحي الملاح، مرجع سابق ، ص 178.

ثانيا: نشأة فلسفة التاريخ

لم يعد هناك شك في نظرة الكثيرين ممن يكتبون في فلسفة التاريخ ويؤرخون لها أن العلامة "عبد الرحمن ابن خلدون" (**) هو أول مؤسس لهذا الفرع من فروع المعرفة " فلسفة التاريخ " في **القرن الرابع عشر** على الرغم أنه كان من أشد المهاجمين للفلسفة ، بمعناها التقليدي الذي يلتزم بقوانين المنطق الصورية وتأملات ميتافيزيقية . وإلى هذا الرأي يذهب "فلنت " الذي يعد من أدق وأعمق من أرخوا لفلسفة التاريخ يقول: "إن كل من يقرأ المقدمة لابد أن يعترف بحق ابن خلدون في شرف التسمية باسم مؤسس علم وفلسفة التاريخ دون أي كاتب أخر سبق فيكو Vico"(*).[1]

إن فلسفة التاريخ عند ابن خلدون هي البعد عن السرد وتسجيل الأحداث دون الترابط بينهما، كما قصد بها التعليل للأحداث التاريخية، وهو في هذا يميز بين الظاهر والباطن في التاريخ حيث يقول: "في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول والسابق من القرون الأول، وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق ، فهو لدلك أصيل في الحكمة عريق بأن يعد في علومها خليق".[2]

كما أن الفيلسوف الفرنسي" فولتير" (1694ه- 1778م) هو أول من صاغ مصطلح"فلسفة التاريخ" في القرن الثامن عشر من بين الفلاسفة الأوروبيين ، في بحث نشره

(**)- ابن خلدون: (1332 – 1406 م) ، مؤرخ وفيلسوف وعالم اجتماع ورجل دولة وسياسة ، راجع . جورج طرابيشي، مرجع سابق ، ص 22.

(*) - فيكو: (1668- 1744م) ، فيلسوف وعالم اجتماعي ايطالي ، راجع روزنتال يودين ، مرجع سابق ، ص 363.

(1) - مصطفى حسن النشار، **فلسفة التاريخ (معناها ونشأتها وأهم مذاهبها)** ، (دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان ، ط 1 ، 2006م) ص ص 147- 148.

(2)- ابن خلدون، **المقدمة** ، (دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، د ط ، 1961م) ص ص 3- 4 .

عام1756م في كتابه (مقال عن أخلاق الأمم وروحها)،[1] ولم يكن فولتير يقصد عند استعماله لهذا المصطلح أن ينشأ فرعا من فروع الدراسات الإنسانية أو علما من علومها، وإنما قصد أن على المؤرخ أن يستخدم منطق الفلسفة العقلاني في دراسة التاريخ دراسة نقدية تحليلية ومن غير استسلام لما أوردته الكتب القديمة من أخبار وروايات."[2]

ـ تعد فلسفة التاريخ عند **فولتير** هي دراسة التاريخ من وجهة نظر الفيلسوف أي دراسة عملية تحليلية ناقدة ترفض الخرافات وتنقح التاريخ من الأساطير و المبالغات من أجل نشر الحرية و التنوير العقلي.[3]

ثالثا: أصل فلسفة التاريخ

يعتقد بعض الفلاسفة والمراجع الغربية أن الثورة الفرنسية استطاعت خلق اعتقاد عند الفلاسفة أهمهم: " كانتKant (*)،"هيغلHegel (**)،"ماركسMarx (***) بأن التاريخ كان له معنى ، وأن الإنسان تقدم عبر مسيرة التاريخ, أما أصل فلسفة التاريخ فيعود إلى ظهور المسيحية ويمكن أن نعطي مثالين عن هذا الأصل:

---

(1) ـ مصطفى النشار، مرجع سابق، ص 22.

(2) ـ هاشم يحي الملاح، مرجع سابق، ص 179.

(3) ـ رأفت غنيمي الشيخ ،**فلسفة التاريخ** ،مرجع سابق،ص 14.

(*) - كانط :(1724- 1804م) فيلسوف وعالم ألماني مؤسس المثالية الكلاسيكية الألمانية ، راجع خلف الجراد ، مرجع سابق ، ص 176.

(**) - هيغل : (1770- 1831م) ، واحد من الفلاسفة الكلاسيكين ألماني مثالي موضوعي ، راجع عبد الرحمان بدوي، ج1، مرجع سابق، ص 566.

(***) - ماركس، (1818- 1883)، مؤسس الشيوعية العلمية وفلسفة المادية الجدلية والمادية التاريخية، راجع خلف الجراد، مرجع سابق، ص 221.

1)ـ **سان بول** :" يقول بأن وراء كل أفعال إنسان هناك شيء مخفي أو مخطط من الله من العناية الإلهية ، والتي تقود الأحداث" وهذا المخطط هو كالتالي : **أولا:** تسلسل يقود التاريخ، إنه من خلق الله (فالله خلق الإنسان على صورته)، **ثانيا:** السقوط (خطيئة آدم)، **ثالثا:** الخلاص (والذي بدأ مع موت المسيح وحتى يوم الحساب الأخير أو نهاية العالم).

النتيجة : الإنسانية عبر التاريخ خاضعة لاختبار أو بلاء يهدف إلى الشقاء والخلاص من الخطيئة الأصلية

2)- **القديس أوغسطين:** تحدث عن مدينة الله و وجاك بوسويه(1627 ـ 1704 م) في كتابه (مقال في التاريخ العالمي)، بالنسبة له لا يوجد أي صدفة في التاريخ، إذا البشر لم يتوصلوا لرؤية كيف التاريخ يتقدم نحو نهايته، هذا لأنهم مخلوقات جاهلة بالقدر الإلهي ووسائل ممارسته.[1]

نلاحظ أن فلسفة التاريخ لم تنشأ لكي تسد ثغرات كل من الفلسفة والتاريخ كما يعتقد المفكرين والمفكرين إنما ينشأ العلم عادة لأنه يلبي للإنسان احتياجات فكرية ،وكلما انتاب الإنسان في حاضره عجز على مصيره في المستقبل لجأ إلى الماضي يستوحيه ، إن عهود النكبات في التاريخ الإنساني كما لاحظ "**نيكولا برداييف**Nicolas Berdaiev[*] كانت دائما حافزة إلى التفكير في الماضي وفي المصير ومثيرة للاهتمام بتفسير التاريخ وتعليله.[2]

---

[1]ـ فلسفة التاريخ ،المحاضرة الأولى الأكاديمية العربية الحرة في الدانمرك، (2007/10/3) ص ص 2 - 3.

[*]ـ برادائيف: فيلسوف روسي وجودي ومؤسس المسيحية الجديدة، راجع. عبد الرحمان بدوي ،ج1، مرجع سابق، ص 341.

[2]ـ أحمد محمود صبحي ،**في فلسفة التاريخ** ،مرجع سابق،ص 130 .

ـ **وعلى سبيل المثال** :حاول "**القديس أوغسطين**" أن يفسر التاريخ حين عاصر تداعي العالم القديم وسقوط روما ، وبلغت الحضارة الإسلامية مرحلة تدهورها فألهم "**ابن خلدون**" إلى أن يضع أول نظرية في فلسفة التاريخ ، وحينما وطأت أقدام نابليون الأراضي الألمانية أمام نظر "**هيجل** "فكانت نظريته في التاريخ ، وعجز كل من" **شبنجلر**"(*) و"**توينبي**"(**) على مصير الحضارة الغربية بعد الحرب العالمية الأولى فكان مذهبهما في فلسفة التاريخ.

في أعصب الفترات إذن يطلعنا التاريخ على إمكان أن تصدر أسمى الفلسفات ،وليس التاريخ العادي هو الذي نعنيه وإنما فلسفة التاريخ، لأنه لكي يصل التاريخ في الإنسان إلى المرتبة الوعي لابد من:

1)ـ حالة انحلال أو تدهور حتى تثير في المفكر القلق على المصير.

2)ـ قلق على مستقبل يدفع إلى التفكير في الماضي .

3)ـ ألا تكون المادة التاريخية مشتتة مجزأة كما هو الحال في موضوع علم التاريخ الانسانية ككل فيما يسمي التاريخ العالمي ليكون موحدا هادفا تنطوي أحداثه على معنى ومغزى.وكلما كان التاريخ العالمي أكثر شمولا كان فهمنا للحظتنا الحاضر أشد عمقا.[1]

وعلى الرغم من أن فلسفة التاريخ كما عرضناها سابقا قد قوبلت بمعارضة شديدة من قبل المؤرخين المحترفين وبعض الفلاسفة والمفكرين،فإنها قد واصلت تقدمها ووجدت لها أنصارا

(*)ـ شبنجلر:(1880- 1936م) فيلسوف حضارة ألماني ، أحدث تأثر هائلا بكتابة (انحلال الغرب) ، راجع. عبد الرحمان بدوي، ج2، مرجع سابق، ص 8.

(*)ـ توينبي : (1779- 1975م) ، مؤرخ وفيلسوف تاريخ انجليزي، راجع. خلف الجراد، ص 246.

(1)ـ احمد محمود صبحي ،مرجع سابق، ص 131.

متحمسين, ولم تلبث أن تحولت إلى موضوع مستقل له منهج هو أهدافه" في المدة التي بدأت بنشر الجزء الأول من كتاب "**هردر**Herder"(***) (أفكار للتاريخ الفلسفي الإنساني) في سنة 1784م، وانتهت بعد مدة وجيزة بظهور كتاب **هيغل**(1770م – 1831م)"محاضرات في فلسفة التاريخ". [1]

- **إذن يمكن لنا عرض بعض النظريات التي نشأت في فلسفة التاريخ بدءا بنظرية :**

"التعاقب الدوري للحضارات "**لابن خلدون**، ونظرية "العناية الإلهية "**لأوغسطين** من الجانب المسيحي وإخوان الصفا من الجانب الاسلامي ، ونظرية "التقدم المستند للفعل الإنساني" **لفولتير**"، والنظرية "الديالكتيكية المثالية أو دور الروح في حركة التاريخ" **لجورج ويلهلم هيغل**"(لكي تناقش من المسؤول عن مسار التاريخ الانساني)، ونظرية "المادية التاريخية أو الديالكتيكية المادية" التي صاغها الفيلسوف الألماني **كارل ماركس** وشاركه في صياغتها البريطاني **انجليز**Engels(*)" (فقد ناقشت العوامل المسؤولة عن أحداث التاريخ ، وبالذات العوامل الاقتصادية باعتبارها المحرك الأكبر والأول في التاريخ)، و"نظرية التحدي والاستجابة "**لأرنولد توينبي**" (التي عالج فيها قضية قيام الحضارات العالمية واندثار بعضها وبقاء البعض الآخر وماهي العوامل المسؤولة عن ذلك ؟).[2]

(***) - هردر: (1744- 1803م) ، فيلسوف ألماني من مفكري عصر التنوير، راجع. خلف الجراد، ص 253

(1)- هاشم يحي الملاح، مرجع سابق، ص 179 .

(*) - أنجلز : (1820- 1895) اشتراكي ألماني كان صديقا وزميلا ومعينا ماليا لماركس، راجع. خلف الجراد، مرجع سابق ، ص 30.

(2)- رأفت غنيمي الشيخ ،مرجع سابق ،ص ص 3 - 4.

و في ضوء مما سبق ذكره نستخلص أن فلسفة التاريخ قد تبدو جذابة للكثير من العقول لأنها قد توحي لهم بأن من اليسير فهم أهداف تاريخ العالم ومساره، ويكمن لنا حصر أهمية فلسفة التاريخ في النقاط الآتية:

1)ـ إن فلسفة التاريخ تعالج القصور في دراسة التاريخ كالإغراق في الأحداث والإسراف في الارتباط بالماضي دون الارتباط بالحاضر والتطلع إلى المستقبل.

2)ـ أن فلسفة التاريخ لا تعوض قصور المؤرخين وحدهم وإنما تسعى إلى معالجة قصور الفلاسفة أيضا، ودلك لأن الفلاسفة يميلون إلى التجريد. ومن ثم فإن فلسفة التاريخ تعمل على شد الفلاسفة إلى عالم الواقع.

3)ـ تعمل على اكتشاف القوانين العامة التي تقود حركة التاريخ.

4)ـ النظر الكلي للظاهرة التاريخية في الدول والحضارات صعودا و هبوطا.

5)ـ أداة للنقاش والحوار كما أنها تؤدي إلى التفكير المنهجي في حل المشاكل.

إذن يمكن القول أن هناك علاقة بين الفلسفة والتاريخ وهي "علاقة شد وجدب إذ أن التاريخ يشد الفلسفة حتى لا تحلق بعيدا في غير عالمنا الذي نعيش واقعه والفلسفة ترتفع بالتاريخ حتى لا يغوص في وحل الماضي بإسراف كما أن التاريخ يلتمس من الفلسفة الحكمة والمغزى بينما نجد الفلسفة تلتمس من التاريخ الواقعية, وهكذا نجد كلا من الفلسفة والتاريخ يكمل في الآخر القصور ومن ثم كان ارتباط بينهما قائم رغم معارضة الفلاسفة و المؤرخين".[1] و قد

[1]ـ أحمد محمود صبحي، مرجع سابق، ص 130 .

رأى المهتمون بفلسفة التاريخ "أن هناك فجوات في أحداث التاريخ وتركيبته العامة التي تحمل الغموض لا يمكن أن تملأ إلا بإضافة المنهج الفلسفي إلى المنهج التاريخي"،[1] أي أن طبيعة التاريخ تكتمل بالمنهج الفلسفي.

وفي الأخير نخلص مما تقدم, إلى أن الحملة التي شنها خصوم فلسفة التاريخ لم تؤدي إلى زوال فلسفة التاريخ وإنما أدت إلى التركيز على هذه الصورة الأولى من صورها وهي دراسة الفكر التاريخي دراسة نقدية عقلانية وفقا لقواعد فلسفة العلوم أو نظرية المعرفة، وذلك لأن الانتقادات التي وجهت لفلسفة التاريخ لم تنصب على استخدام المنطق الفلسفي العقلاني في دراسة التاريخ وفهم دقائقه، وإنما انصبت على فرض أفكار وتصورات مسبقة على التاريخ، ومحاولة بناء تصور فكري عن تاريخ العالم دون التزام دقيق بوقائع التاريخ وحقائقه.

(1) - مفيد الزيدي، مرجع سابق، ص 5.

الفصل الثاني : القديس أوغسطين ومنهجه في دراسة التاريخ

المبحث الأول: حياة القديس أوغسطين

المبحث الثاني : منهج القديس أوغسطين في دراسة التاريخ

الفصل الثاني : حياة القديس أوغسطين ومنهجه في دراسة التاريخ

وكانت حياة أوغسطين مرآة للتطور الفكري وهذا يعود إلى تحولاته الفكرية التي مر بها،كذلك سنتطرق إلى المنهج الذي وضعه في دراسة التاريخ ، ويمكن لنا طرح السؤال التالي : من هو القديس أوغسطين ؟ وما المنهج الذي اتباعه ؟.

المبحث الأول: حياة القديس أوغسطين

المطلب الأول: مولده ونشأته:

القديس أوغسطين"لاهوتي وفيلسوف مسيحي ، وأحد كبار آباء الكنيسة الكاثوليكية ، ولد في (13 نوفمبر 354 ق – م)، في تاغشت tagaste [*] من أب وثني باطرتقيوسpatricus و أم مونيكا مسيحية مؤمنة"،[1] "كان ذكاءه واضحا في فترة شبابه، فسجلت أمه اسمه في عداد المرشحين للعماد ونشأته على محبة المسيح، وتضلع من اللاتينية حتى افتتح في قرطاجة في التاسعة عشر، مدرسة لتعليم البيان في ذلك الوقت قرأ كتابا **لشيشرون** اسمه "هور طانسيوس" (وضاع في ما بعد) وأندفع أوغسطين في طلب الحقيقة حقيقة مصير الإنسان، فقرأ الكتاب المقدس رجاء أن يجدها فيه كما تعلم من أمه ، كان أوغسطين متشعبا بالأدب اللاتيني فلم تعجبه لاتينية الكتاب وكان متعلقا بالدنيا ومتاعها فلم تهزه مبادئه"،[2] "انتقل القديس أوغسطين

---

[1]- أنيس منصور، **خالدون مائة** ، (المكتبة المصرى الحديث للنشر الإلكتروني المجاني، د ط ،د ت) ، ص 215.

[*]- تعرف حاليا بسوق أهراس بالجزائر تبعد عن عنابة 45 كيلومتر، راجع، عبد الرحمان بدوي ، موسوعة الفلسفة ، ج1 ، ص 248.

[2]- يوسف كرم ، **تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط** ،(مؤسسة هنداوي للنشر والتوزيع ،دط ،2012م) ص 25.

من تاغشت إلى مادورا [*] "وأكمل دراسته، ولكن لم يكن ميلانه للدراسة كثيرا فهنا أوغسطين لم يكن حبه في الدراسة وطغى عليه الجانب الذاتي والعيش في ملذات والشهوات،"[1] "وهذا ما جعل القديس أوغسطين ينحرف على الجانب الدراسي بسبب وقوعه في اللهو، وملذات ، وبفضل والده الذي أجبره على تعلم اليونانية وبفضل هذا أتقن اللاتينية وتعلم فن الخطابة في مكان دراسته. وما جعل أوغسطين ينقع على الدراسة نقص الجانب المادي لأن أبوه كان فقير، وبهذا تدخل أوغسطين عالم الملذات حيث يقول أوغسطين " تصاعد دخان رغبات جسدي الدينية التي عضت كالسحب قلبي وألمته حتى لم أعد أميز بين الصفاء الواضح للحب وغشاوة الهوى و الشهوة فانغمست وظللت وتناثرت أشلائي، هويت في بئر الدعارة،"[2] حيث أوصته أمه " ألا يدنس عرض امرأة متزوجة وألا يرتكب الفحشاء ، وخيل إلى أن هذه الأقوال تعدو أن تكون نصائح امرأة ، ومن العار أن يعمل بها فاندفع في الغواية اندفاعا أعمى، ثم استقر على اتخاذ خليلة. ووجد نفسه في عام 382 وهو لايزال في الثامنة عشر من عمره أن أصبح أبا لولد ذكر كان اسمه " ابن خطيئتي" تارة و" عطية الله " تارة أخرى . أما من حيث نموه العقلي فقد طاف بكثير من المذاهب الفلسفية.[3]

(*)- **مادورا**: إحدى المدن الصغيرة في نوميديا تبعد 25كلم تقريبا على تاغشت كانت مركز ثقافيا مرموقا، أعطت للعالم الروماني الخطيب الشهير أبولي ،ننظر ،علي زيعور ،**أوغسطينوس في مقدمات العقيدة المسيحية والفلسفة الوسيطية**،(دار إقرأ، بيروت ، ط1، 1983)، ص 103.

(1) - القديس أوغسطين ،**إعترافات** ،تر، يوحنا حلو،(دار المشرقللنشر والتوزيع ، بيروت ، ط 4 ،1991 م) ص 2.

(2)- عبد الرحمان بدوي ،**موسوعة الفلسفية**، (المؤسسة العربية ، بيروت ، ط1،ج1،1984) ، ص 248.

(3)- إتين هنري جلسون ،**روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط** ، تر، إمام عبد الفتاح إمام ،(مكتبة مديولى ميدان طلعت الحرب، ط3، 1996م) ، ص 63.

المطلب الثاني: تحولاته الفكرية

لقد اختلفت الدراسات في مختلف المجالات وتنوع المنعرجات الفكرية التي مر بها القديس أوغسطين كما نجد حياته الفكرية تخللها الكثير من نقاط التي جعلت حياته مليئة بالتغيرات الجذرية هذا ما جعل مؤلفاته تختل الترابط فيما بينها وهذا الاستقرار الذهني مر بالمحطات التالية:

أ)- **بحثه عن الحقيقة في الكتاب المقدس:** "تأثر القديس أوغسطين بمحتوى الكتاب و الذي يحتوي على دراسة الفلسفة وبهذا نشأ حبه الكبير للفلسفة وكان متحمسا أشد الحماس لبلوغ حقيقة يقينية. فهو تناول الكتاب المقدس وهو في التاسعة عشر فلم يجد فيه مبتغاه"[1]

ب)- **المانوية**[*]: "توجه أوغسطين للمانوية لظروف غامضة لم توضح تفاصيلها ظن أنها النزعة التي ترضي رغبته، وميولاته العقلية حيث رأى أن الدين يتحدث عن الحقيقة ويجعل الغاية من الوجود اكتشاف الحقيقة. ومن ناحية أخرى بدأ له هذا المذهب عقليا، لأنه يدعوا إلى الحقيقة عن طريق العقل بصرف النظر عن كل السلطة كتابية أو الدينية . وقد أرضى النزعة الحسية عند أوغسطين فقد كان حسيا ماديا ، وقد أراد أن يبرر هذه النزعة فوجد أن المانوية تؤمن بالمادة وتقول بأن في الوجود أصلين النور والظلمة ، اعتنق القديس أوغسطين المذهب

---

[*] - **المانوية** : تعتبر من المذاهب الذائعة العبث ذات شعبية واسعة يترأسها ماني الذي ادعى نزول الوحي عليه متأثر بالمذاهب والذي ينتمي له والدو والمتمثل في المغتسلة، علي زيعور ، مرجع سابق ص104.

[1]- جونو و بوجوان ، **تاريخ الفلسفة و العلم في أوروبا الوسيطية**،تر، علي زيعور وعلي مقلد ،(لمؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت ، ط د، 1993م) ص 277 .

المانوي وهو في عمر التاسع عشر وكانوا يقدمون له ألف برهان على الكتاب ،وبأدلة عقلية واستدلالات ممنهجة[1].

ج) ـ**الشكاك:**" لقد مر القديس أوغسطين بصراع عنيف يتخلله بداخل هذا ما دعاه يشك في كل شيء يعرفه من قبل وهذا ما جعله يرجع للأكاديميين الذين اعتبروا أن الشك مصدر فلسفتهم منه وقع القديس أوغسطين في دوامة الشك الذي كان شك كلي رغم كل هذا إلا أن أوغسطين أراد تجاوز دوامة الشك، لكن الحقيقة كانت دائما عنده بعيدة المثال"[2]

د) –**الأفلاطونية المحدثة:** "تتميز بأبعادها الروحية المتعالية وجعلت الكثير من الفلاسفة يربطون تعاليمها بالمسيحية ، وعلى رأسهم القديس أوغسطين حيث قرأ كتب الأفلاطونية المحدثة ، وهو يتحدث عنها حديثا كله إعجاب ، لكنه لا يذكر لنا أسماء الذين أثاروا عاطفة الإعجاب عنده. وليس من الشك في أنه يشير إلى أفلوطين ، وهو الذي جعله يعجب كل الإعجاب بأفلاطونية المحدثة، والعامل الأساسي الذي جعله يعجب بالأفلاطونية المحدثة وجود نزعة عقلية و رأى أنها تتفق تماما مع العقائد المسيحية حيث أخذ أوغسطين العديد من أفكار الأفلاطونية وذلك بعد تنقيحها وجعلها تتناسب مع الفكر المسيحي، وأهم فائدة تعرفه على الجانب الروحي".[3]

---

[1]-عبد الرحمان بدوي ، **فلسفة العصور الوسطى** ، المرجع السابق ، ص 18.
[2]- جونو وبوجوان ، مرجع سابق ص 278.
[3]- مزواد نسيبة ، **فلسفة الحضارة عند القديس أوغسطين** ،(مذكرة ماجستير جامعة باتنة، 2011- 2012 م) ص 18.

و)- **الاهتداء:** "ساعدت الأفلاطونية المحدثةعلى إظهار التعاليم المسيحية الموجودة عند أوغسطين وأهم ما ساعده على الإهتداء نصائح والمحاضرات أمبروز الذي وضعه في طريق الهداية ، بعدها لجأ القديس أوغسطين إلى الخلوة هو وصديقه أليبوس ، هناك بعد أن سمع ذلك النداء إهتدى إلى الطريق القويم الذي لا شك فيه ، ووجد أخيرا بعد صراعات مريرة أحس بها ، واتصل بالقديس أمبروز الذي قام بتعميده وعاش بقية حياته خادما للكنيسة مبشرا بتعاليمها".[1]

المطلب الثالث: مؤلفاته

ترك القديس أوغسطين مؤلفات جمة تتجاوز المائتي رسالة (lettres) ، والخمس مائة موعظة (sermons) ،ومائة وثلاثة عشر مطوية (traites)، ضاع قسم كبير منها ، وهي موضوعة بلاتينية اشتهرت بالبلاغة والبيان، وتنقسم تلك الآثار إلى قطاعات أهمها القطاع الديني الذي طغى على سائرها.

أ) –**ضد الفلاسفة الأكاديميين:** "وضع كتاب " contra academecos " لبحث مسألة اليقين كان هؤلاء يشكون بكل شيء أنه تعلق فقط بالقول بنزعة احتمالية واحتمالية معتدلة حتى لم يدم لديه وتخلى عن المذهب برمته عن سنتين.

ب) – **الاعترافات:** كتب في حوالي(400) سيرة حياته، ومسار فكره وطريقة اهتدائه، يعتبر في الأدب الإنساني.

[1]- جونو وبوجوان، مرجع سابق، ص 280.

ج) – **كتب الرد على المانويين:** فيها "أخلاق الكنيسة الكاثوليكية " و "أخلاق المانويين" في سفر التكوين "ردا على المانويين " "حول الحرية المطلقة" في "النفسيين"...إلخ.

د) – **كتب وضعها للرد على بدع المسيحية:** مجال عمله ونشاطه في هذا المضمار ملحوظ. فقد كتب مثلا: الرد على البيلاجين، الرد على الدوناتيين ، "الرد على رسالة بارمينيان" في سنة (302) في "المعمودية"، وكذلك ما ورد على " الأريويين".

هـ) – **مدينة الله:** decivitate dei حيث وضعه في حقبة مأساوية من التاريخ أوروبا، ذلك أن روما سقطت في سنة (410) بيد البرابرة. وولد دمار تلك المدينة التي كانت تعتبر عاصمة الدنيا، وكتاب مدينة الله كان ردا على الاعتقاد وآلهة التي تخلت عنها روما. وهكذا شرع أوغسطين يكتبه منذ عام (413– 426).

و) – **كتب عقائدية صرفة:** أهمها "الثالوث" detrinilate وضعه في 18سنة (400– 416)، وكتاب "العقيدة المسيحية" doctrinachristiana

ز) – **آثار أخرى متفرقة:** فمن كتبه المهمة " في النظام"deordine و"خلود النفس" ..إلخ كذلك أمشاج أوغسطينية" miscllanea augustiniana و"العديد من محاورات كاسيكيا كوم ".[1]

[1]- علي زيعور ، **أوغسطينوس في المقدمات العقيدة المسيحية والفلسفة الوسيطية** ، مرجع سابق ، ص 109.

المبحث الثاني: منهج دراسة التاريخ عند القديس أغسطين

قبل أن يبدأ القديس أوغسطين بتحديد خطوات منهج التاريخ بدأ أولا بمعالجة التاريخ معالجة لاهوتية ، وكذلك قام بتحديد أمرين هما غاية في الأهمية في مجال التاريخ في عصر سيطرت عليه العقيدة [*]، و نعني بهما علاقة التاريخ كمعرفة بالعقيدة و الحقيقة التاريخية و هما ما نبدأ بدراستهما قبل الخوض في خطوات منهج التاريخ عند أوغسطين.

المطلب الأول: التاريخ عند القديس أغسطين

أولا: العلاقة بين التاريخ و العقيدة:

"فقد شغل التاريخ بوصفه علم مكانة كبيرة في فكر أوغسطين إذ تصور أن ثمة علاقة نفعية تبادلية بينه و بين العقيدة المسيحية . ويرى أوغسطين أنه يمكن توظيف التاريخ بعدة طرق لإبراز قيمة مسيحية والدفاع عنها، أي أنه وظف التاريخ من أجل إثبات الحدث الديني العقائدي (فإذا كان يميز المسيحية عن الوثنية أن الثانية دعامتها الأسطورة أما الأولى فدعامتها التاريخ)، فالعقيدة وحدها التي تخبرنا بأن العالم بدأ بالخلق وبأنه سينتهي باليوم الأخير هي التي تقدم لنا تفسير التاريخ وبلورة هذا التفسير عند أوغسطين يظنه الباحثين فلسفة التاريخ ويعده البعض الأخر والبعض الآخر لاهوت التاريخ".[1]

ومنه فإن مبادئ تفسير التاريخ في مذهبه لا تستمد من التاريخ البشري نفسه وهو الشرط

---

[*]- العقيدة: كلمة يونانية تعني (dogma) وقد اشتقت من الفعل (dokw) وكانت تعني عند الأقدمين الحكم الرسمي (قرار) يكون له سلطان سواء في مجال والفلسفة. راجع : موريس تاوضروس ، **علم اللاهوت العقيدي**، ج1، (دار الجيل للطباعة، ط1، 1994م ص 10.

[1]- زينب محمود الخضيري ، مرجع سابق ، ص58.

الضروري لقيام فلسفة للتاريخ بل تستمد من مجال له هو العقيدة، عرفنا أن العقيدة عند أوغسطين بدورها مؤسسة على الله.

و مما سبق نستنتج وجود علاقة تبادلية بين التاريخ والعقيدة, وذلك أن كل منهما يدافع عن الآخر و أن العقيدة المسيحية جذورها منغرسة في التاريخ، لقد جعل القديس أوغسطين التاريخ يفيد العقيدة وجعلها هي كذلك تفيده، فهي توضح له صيرورته وتحدد نهايته أو غايته.

ثانيا:الحقيقة التاريخية:

إن علاقة التاريخ بالعقيدة عند القديس أوغسطين لها أثر كبير على مفهوم الحقيقة التاريخية "فقال أوغسطين في كتابه "مدينه الله"من واجبي أن أدافع عن الحقيقة التاريخية وعن الإيمان بالكتاب المقدس ، حيث تعتبر الحقيقة التاريخية عنده هي تلك الحقيقة التي وردت في كتاب المقدس و التي تحتاج لجهود مخلصة سواء للدفاع عنها بعد الإيمان بها وكان أوغسطين مدركا لخصوصية التصور المسيحي للحقيقة التاريخية ، و للصعوبات التي يواجهها الباحث الذي يتعامل معها،وجعل النتيجة التي ينبغي أن ينتهي إليها الباحث التاريخي أي الحقيقة التاريخية هي المقدمة التي ينطلق منها ويبذل جهد لإثباتها. ويرى أوغسطين أن الوقائع والأحزان التاريخية موجودة في الكتاب المقدس ليست هي كل الحقيقة التاريخية"[1].

[1]- زينب محمود الخضيري، مرجع سابق، ص ص 59- 60.

وإن أحداث الماضي و الحاضر رموز تحتاج لتأويل(*) من قبل المؤرخ لتكشف له عن الحقيقة الكلية ، و ما هذه الحقيقة الكلية إلا حقيقة كل تاريخ البشرية منذ الخلق حتى اليوم الأخر بل و حتى الأبد, فالتاريخ الظاهري هو رمز التاريخ الباطني والتاريخ الباطني أو المقدس يفسر التاريخ الظاهري".[1]

ومن هنا نستنتج أن الحقيقة التاريخية هي المقدمة التي تنطلق منها الأحداث التاريخية الموجودة في كتاب المقدس، و أن الحقيقة الكلية تحتاج إلى التأويل فأوغسطين أعطاها قيمة توضيحية، و شكلا عاما و جعل منها قانونا عاما و هي عنده فكرة تتحكم في مجرى التاريخ و تفسر لنا الأحداث و تنير لنا مسارها.أماأهميتها تتجلى بوجهيها الظاهري والباطني.

المبحث الثالث: منهج دراسة التاريخ عند القديس أوغسطين

لم يسلم القديس أوغسطين بالمعارف التاريخية التي تصله حتى وإن كانت من الكتاب المقدس على الرغم من إيمانه العميق به وتقديسه له, لهذا فقد اعتمد على منهجا دقيقا في دراسة التاريخ للوقوف عليه من أجل تقديم تفسيرا خاصا للتاريخ حتى لايقع في الأخطاء التاريخية حيث تضمن منهجه عدة خطوات وهي كالآتي:

(*) – التأويل : مشتق من فعل الثلاثي : أول، الرجوع " آل الشيء " : رجعه : وأول ومآلا رجع ، وأول إليه الكلام وتأويله ، دبره فسره ، والمراد بالتأويل النقل الظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ . راجع ، ابن منظور، **لسان العرب**، مج 11(دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط1،1981م) ص ص38–39.

(1) – مجموعة من المؤلفين ،**فلسفة التاريخ : جدل البداية والنهاية والعد الدائم** ،(دار الروافد الثقافية للنشر والتوزيع، بيروت ، ط 1، 2012م)، ص 89.

أولا : سد الثغرات التاريخية

"لم يكن شاغل القديس أوغسطين ابتكار منهج جديد للمؤرخين ليستعينوا به إنما كان شاغله الحقيقي تقديم تفسيرا خاصا للتاريخ المتضمن في الكتاب المقدس ليوظفه بعد ذلك في بناء لاهوته، و أول مثال الثغرة التاريخية صادفها القديس أوغسطين في الكتاب المقدس هي ذكر أولاد آدم ثلاثة فقط:"هابيل وقابيل وشيت" رغم أن أيام آدم ثماني مائة، والحل الذي كان لسد هذه الثغرة التاريخية قول أوغسطين:(إن الكتاب المقدس لم يكن يعنيه حصر كل ذرية آدم بل كان يعنيه فحسب ذرية آدم تنتهي في تسلسلها إلى إبراهيم أبى الأنبياء)"[1].

ونستخلص من هذه الخطوة أن أوغسطين لم يكن هدفه ابتكار منهج جديد وإنما كان هدفه تقديم تفسيرا خاصا للتاريخ ، وأراد أوغسطين أن يوضح الخطأ الذي ورد في الكتاب المقدس ولكنه لم يقصد وجود أخطاء فيه وإنما هناك بعض الأحداث التي لا يرى أهمية في سردها.

ثانيا: إعادة ترتيب الأحداث أو تركيبها

لاحظ القديس أوغسطين"أن الكتاب المقدس لم يلتزم بسرد الأحداث بشكل متسلسل، فإن أوغسطين يرى أن على المؤرخ بذل جهد في الترتيب الزمني للأحداث, ومن الأمثلة التي تتناول إعادة ترتيب الأحداث " بنوة عابر لسام "

[1]- زينب محمود الخضيري ، مرجع سابق، ص ص 62 - 63.

التي يقول فيها أوغسطين: إن عابر هذا لا يعقل أن يكون ابنا لسام بل هو أحد أفراد الجيل الخامس من ذريته وما ذكره الله قبل سائر الذرية سام إلا ليؤكد على أن أوغسطين حقبه تاريخية ليبرز أمرا"[1].

ونستنتج من هذه الخطوة أن أوغسطين أراد أن يبين لنا أن الكتاب المقدس لا يلتزم بترتيب الأحداث وأن المؤرخ هو الذي يعطي جهدا لإعادة ترتيبه، ولقد بذل القديس أوغسطين جهدا وذلك لتتبعه للتاريخ ودرجة توافقه ما جاء في الكتاب ومثال ذلك: أن الكتاب المقدس يتعرض لمسائل غير مراعي لترتيبها الزمني فيعيد أوغسطين في كتاب مدينة الله ترتيبها.

ثالثا: النقد التاريخي

" أما الأخذ بالنقد التاريخي فيتضح في رفض أوغسطين صراحة وبكل جرأة لبعض الروايات التاريخية الكتاب المقدس"[2]، "فقد رفض أوغسطين بعض الروايات في الكتاب المقدس لأنها تعارض منطق ، ومنها ما رواه الكتاب عن بناء قابيل أو ابنه مدينة بأكملها وعلل أوغسطين رفض بأن المدينة بحكم تعريفها هي مجموعة من الناس تربط بينهم صلات اجتماعية وهو ما يتنافى مع الكون ففرد واحد هو الذي بناها"[3].

إذن يمكن القول أن القديس أوغسطين في هذه الخطوة أراد أن يبين لنا أن النقد التاريخي يتخذ الصراحة والجرأة في بعض الروايات وهذا ما جعل منطق يرفض كل ما جاء

---

[1]- زينب محمود الخضيري، مرجع سابق، ص 63 .
[2]- مرجع نفسه ، ص 63.
[3]- مجموعة من المؤلفين، مرجع سابق، ص ص 90 -91 .

في الكتاب المقدس، كما نجد نقد القديس أوغسطين ما جاء يذكر أن قابيل وابنه تمكنا لوحدهما من بناء مدينة بأكملها فهذا نراه تناقض.

رابعا: التأويل الرمزي أو التفسيري المجازي

"أما أهم الخطوات المنهجية التاريخية ، والتي برع أوغسطين في استخدمها إلى أبعد الحدود فهي التأويل الرمزي المعتمد على التحليل اللغوي، ولقد جعلت هذه الخطوة آخر خطوات المنهج الأوغسطيني لأن أوغسطين كان يلجأ إليها في حالة عجز الخطوات السابقة (سد الثغرات وإعادة ترتيب للأحداث ونقد التاريخي) عن حل المشكلة التي يواجهها. وأن أوغسطين كان يستخدم هذه الخطوة في دراسته للنصوص التاريخية الواردة في الكتاب المقدس".[1]

ويتبين لنا أن أوغسطين لجأ إلى منهج التأويل الرمزي لأنه كان يؤمن بأن الكتاب المقدس يحتوي على الحقيقة التاريخية أي أنه كتاب صعب وغامض وملئ بالأسرار بمعنى أن المرء يعجز عن معرفة المعنى الذي يشير إليه الكتاب.

"ولقد عالج أوغسطين منهجه هذا بالذات في "المذهب المسيحي "De Doctrina Chriana الذي لخصه أوغسطين في هذه القاعدة " إن كل ما جاء في الكتاب المقدس ولا يتعلق مباشرة بالإيمان وبالأخلاق لابد من اعتباره معنى مجازيا".[2]

---

[1]- زينب محمود الخضيري ، مرجع سابق ، ص64.

[2]- مرجع نفسه، ص 67.

ويقصد أوغسطين من هذا القول أن الكتاب المقدس يحتوي على معاني وعبارات إيمانية وأخلاقية وأي كلام ورد في الكتاب المقدس لا يتعلق بالإيمان والأخلاق يعتبروه أوغسطين معنى مجازي.

"فنجد القديس أوغسطين عالج التحليل اللغوي ، حيث يقوم باستخدامه إلى أبعد حدود و يرى أن هذه الخطوة آخر خطوة في منهجه الأوغسطيني، حيث كان يلجأ إليها في حالة عجز الخطوات السابقة :(سد الثغرات التاريخية, إعادة ترتيب الأحداث ,نقد التاريخي)عن حل المشكلة التي يوجهها"،[1] وقد اعتمد أوغسطين في هذه الخطوة على كل التجارب الفكرية التي مر بها في حياته خاصة الفلسفية, ويرى أن التأويل ضروري واعتماد على الظاهري لنص الكتاب المقدس.

ويمكن القول أن القديس أوغسطين كان يستخدم تلك الخطوة المنهجية في دراسته للنصوص التاريخية الواردة في الكتاب المقدس ، ولم يكن في حاجة لاستخدامها في الدراسة للكتابات التاريخية الأخرى،فالتأويل إذن يهدف إلى التفسير.

"ونلاحظ أن التأويل عند أوغسطين يختلف عند التأويل الفلاسفة المسلمين فبينما كان التأويل عند الفلاسفة المسلمين من الحق الفلاسفة الذين يمكنهم وحدهم اكتشاف المعنى الباطني العميق المستتر وراء المعنى الظاهري البسيط ، فإن أوغسطين إعتقد أن التأويل لا يكشف لنا عن معنى أعمق، وإنما هو يكشف عن أحد مفاهيم العقيدة الوطيدة."[2]

[1]- زينب محمود الخضيري، مرجع سابق، ص 67.
[2] - مرجع نفسه، ص ص67- 68.

وبالرغم من اهتمام أوغسطين الشديد بالمعنى الخفي فإن المعنى الحرفي أو اللغوي للنص المقدس لم يكن أقل أهمية عنده ولقد انطلق أوغسطين دائما في تأويلاته من فكرة أن المعنى الحرفي هو الأساس لكل تفسير مجازي.

ومنه نلاحظ أن منهج التفسير المجازي لدى أوغسطين ينقسم إلى مرحلتين أساسيتين:

أ)- المرحلة الأولى: التفسير المباشر أو الحرفي للنص وهي تنقسم إلى عدة خطوات:

1)ـ القراءة"loctio": والمقصود بها قراءة الكتاب المقدس عدة مرات حتى يكون محفوظ على ظهر قلب، ودور الأساسي لهذه القراءة أنها تجعل القارئ يعتاد لغة الكتاب المقدس وأن تمكنه بأن يفرق بين النصوص الواضحة والنصوص الغامضة.[1]

2)ـالشرح "enarratio": وفيها يوضح الشارح كل التركيبات اللغوية الغامضة أو كلمات المبهمة ، وعليه أن يتميز بقدرة فائقة على تحليل النص وعلى معرفة دقيقة باللغة وقواعدها.

3)ـالتحقيق "emendatio": والمقصود بها طبع تحقيق الكتاب المقدس التي كانت له ترجمات لاتينية عديدة عن اليونانية كما كانت له الترجمة الشهيرة عن الأصل العبري,ونتيجة لتعدد الترجمات كان هناك اختلاف كبير عن تحديد المعنى المقصود في النص, ولذا كان لابد من القيام بعملية تحقيق للنص.[2]

أراد القديس أوغسطين من خلال هذه الخطوات شرح وتحليل الغموض الذي جاء في الكتاب المقدس، فالقارئ عليه أن يعتاد قراءة النصوص قراءة تكرارية وهذا من أجل التمييز

---

[1]- مجموعة من المؤلفين، إشراف: علي عبود المحمداوي ، مرجع سابق ،ص 93.

[2]- زينب محمود الخضيري، مرجع سابق، ص 69.

بين النص الواضح والغامض حتى يتمكن من الشرح باللغة الدقيقة والسليمة، ثم انتقاله للتحقيق النصوص لأن الكتاب المقدس جاء بترجمات مختلفة مما أدى إلى اختلاف المعنى،كما نلاحظ أن الخطوتين الثانية والثالثة متداخلتان وهذا ما نلاحظه في أعمال أوغسطين التفسيرية.

ب)- المرحلة الثانية: التأويل: "هي المرحلة التي ينطبق عليها اسم التأويل بالفعل لأنها تعنى بالتفسير المجازي للنص بعد أن يتم تحديد معناه الحرفي، وبعد التحقق من سلامته".[1] ففي المرحلة الأولى نجدها تحتاج إلى قدرات عالم اللغة من حيث الدقة في المعارف، أما المرحلة الثانية تتطلب الإستعانة بكل المعارف العلمية والفلسفية ومن بين هذه المعارف " المعرفة باللغات" وتبين لنا أن مدينة الله مليئة بمحاولات أوغسطين لتفسير المجازي الذي يعتمد على اللغة. فالقديس أوغسطين أعطى أمثلة عديدة ويمكن ذكرها في النقاط التالية:

1)- "قدم تأويل لاسم آدم باللغة العبرية بمعنى اسم آدم أن يدل على الجنسين الذكر والأنثى، فآدم يرمز لعملية توالد البشر بعضهم عن بعض أي استمرار الإنسانية وتواصلها.[2] ويستشهد القديس أوغسطين على صحة رأيه بقوله :"يوم خلق الله الإنسان على شبه الله عمله ذكر وأنثى وباركه و دعى أسمه آدم يوم الخلق"،[3] ويقصد أوغسطين بقوله هذا أن الله هو الذي يخلق الإنسان، أي أنه خالق الذكر وأنثى وهو الذي يبارك خلقه.

---

(1) - زينب محمود الخضيري، مرجع سابق ، ص 70.
(2)-.مجموعة من المؤلفين، إشراف: علي عبود المحمداوي، مرجع سابق، ص 93.
(3)- سفر التكوين الاصحاح 5:(2- 3) ص 38.

2)- "أما اسم" شيث" الذي أطلق على ابن آدم لم يطلق صدفة هكذا وإنما يعني به البعث من نصيب الإنسانية، إذن فإسم "شيث" يرمز إلى البعث".[1]

فقد لاحظ أوغسطين أن الله أطلق هذه الأسماء على هؤلاء الأشخاص ليرمز لتاريخ الإنسانية ودلالته.ولم يتوقف أوغسطين عند تأويل الأسماء إنما قام بتأويل الأحداث أيضا وأبرز مثال:

تأويله لقصة الطوفان. وهو ما جاء في النص: "ولما كان نوح ابن ست مئة صار طوفان الماء على الأرض، فدخل نوح ونبوه وامرأته ونساء بنيه معه في الفلك من وجه مياه الطوفان، ومن البهائم الطاهرة والبهائم التي ليست بطاهرة ، ومن الطيور وكل ما يدب على الأرض ، دخل اثنان إلى الفلك ذكرا وأنثى، كما أمر الله نوحا"،[2] فهذه القصة في نظر أوغسطين قصة حقيقية تاريخية صادقة وهي ذات دلالة رمزية لأن كل عناصرها لها دلالة رمزية روحية فمثلا:"السفينة ترمز للكنيسة، والحيوانات التي امتلأت بها السفينة تشير إلى مختلف الشعوب ، وكل هذه الشعوب تنتظر نهاية العالم كلما انتظرت الحيوانات نهاية الطوفان".[3]

ويقصد أوغسطين من سرد أحداث هذه القصة التي جاءت في العهد القديم لتصور للأجيال التالية حقيقة علاقة الكنيسة بمسيرة الإنسانية وبخاتمتها على الأرض.

---

[1] - زينب محمود الخضيري، مرجع سابق، ص 71.
[2]- سفر التكوين، الاصحاح : 7 (6 - 9) ص 13.
[3]- زينب محمود الخضيري، مرجع سابق، ص 71.

كذلك قام أوغسطين بتأويل "صمت الكتاب المقدس عن إسقاطه لبعض الوقائع المفترض حدوثها منطقيا، ودلالة هذا الصمت هو إغفاله لذكر كل الأسماء أبناء آدم وذريته واكتفاؤه بذكر بعضهم".[1]

"وأيضا استعان أوغسطين "بالعلم الطبيعي"[*] في تأويله مجازي وخاصة في تفسيره لسفر التكوين وتتضح استعانته في نظرية العناصر الأربعة والمادة الأولى الأرسطية، ولم تكن معالجته للمسائل الطبيعية بدافع البحث عن المعرفة حيث يرى أوغسطين أن لا جدوى من هذه المعرفة في تحقيق خلاص المسيح، بل عالجها لأن ما طرحه السابقون من الفلاسفة أو أضعف الإيمان كانوا يطرحونها عليه لعلاقتها بما جاء في الكتاب المقدس ويعتبرها أوغسطين مسائل تهدد العقيدة، وكان كل هم أوغسطين أن يدافع عن الكتاب المقدس وبيان كل ما جاء فيه ليس متناقض".[2]

ومن بين الإنتقادات التي يمكن أن نوجهها للقديس أوغسطين في تأويله للكلمات أن غموض المعنى أحيانا في الكتاب المقدس لم يكن مقصود إنما يمكن إرجاعه لسوء الترجمة ، وهذا ما يؤدي إلى خلل معنى النص ، أحيانا يكون تأويله خاطئا نتيجة لجهله بدلالات الكلمات.

---

[1]- زينب محمود الخضيري، مرجع سابق ، ص 71.

[*]- العلم الطبيعي: هو الأساس العلمي للمادة الفلسفية والفهم الجدلي للطبيعة ويدرس العلم الطبيعي الأشكال المختلفة للمادة وحركتها، وكذلك الأشكال الأساسية للوجود ويمكن أن يكون العلم الطبيعي تجريبيا نظريا تبعا لمظمونه ومناهج بحثه. راجع. روزنتال يودين، مرجع سابق،ص 308.

[2]- زينب محمود الخضيري، مرجع سابق، ص ص 71- 72.

ونستنتج مما سبق ذكره أن منهج أوغسطين في دراسة التاريخ هو منهج تأويلي، حيث التزم بالحرص والدقة في تأسيسه فجعله خليطا من التفسير الحرفي اللغوي والتأويل الرمزي، مما أدى إلى خوضه في التفسير في التأمل الفلسفي أو اللاهوت التاريخي، وبفضل هذا المنهج استطاع أوغسطين أن يبين الخطة الإلهية لهذا التأويل وهدفه ومغزاه، وكذلك استطاع تأويل التاريخ تأويلا يجعله دفاعا عن المسيحية ضد الاتهامات التي كانت توجه إليه في زمنه، فكانت معالجة أوغسطين للتاريخ المسيحي ذات قيمة خاصة، فقدم للمسيحية المذهب والمنهج معا.

الفصل الثالث: قراءة لاهوتية للتاريخ عند القديس أوغسطين

المبحث الأول: الإنجيل و التاريخ

المبحث الثاني: العناية الإلهية وغاية التاريخ

الفصل الثالث : قراءة لاهوتية للتاريخ عند القديس أوغسطين

يتألف الكتاب المقدس للمسيحيين من الأناجيل الأربعة : وهي : إنجيل متى و مرقص و لوقا ويوحنا، لذا سنعرض في هذا الفصل نظرة المسيحية للتاريخ و تتجلى في الفهم المسيحي لخطيئة آدم و التجسد والفداء والسعي إلىإقامة ملكوت الله في الأرض، و إذا انتقلنا من هذا التعميم إلى التخصيص، فكيف كان تفسير القديس أوغسطين للتاريخ؟.

المبحث الأول: الإنجيل والتاريخ:

رؤية المسيحية للتاريخ:

إن التفسير التاريخي لدى المسيحيين يتألف من مجموعة الآراء التي عرضها رجال الفكر استنادا إلى فهمهم إلى بعض نصوص الإنجيل.

"لقداهتم ألبان ويد جرى بتحليل نظرة الإنجيل للتاريخ فأكد أن المسيحية اهتمت بالتاريخ من جهتين، فهي تقدم أحداثا معنية، ربما كانت حقيقة أو مجرد أشياء مزعومة".[1]

حيث يرى "ويد جرى" أن المسيحية تقدم التاريخ في صورة ضرب من الدراما المسرحية، الفصل الأول في المسرحية هو سقوط آدم بما أعقبته من استمرار الخطيئة".[*]

---

[1]- مصطفى حسن النشار، **فلسفة التاريخ** ،(معناها و نشأتها وأهم مذهبها) ،مرجع سابق ص 164.

[*]- الخطيئة :الذنب ، وقيل المتقد منه ، وجمعها خطايا وفي الاصطلاح التهاون بشريعة الله، أي ارتكاب ما نهى الله عنه وكل أثم خطيئة وعلماء اللاهوت يردون أصل الخطيئة إلى ارتكاب أبينا آدم ما نهى الله عنه ،راجع جميل صليبا، مرجع سابق ص 535.

يؤكد اللاهوت المسيحي أن الله قد غضب على آدم و حواء عند ارتكابهما الخطيئة وحكم على نسلها بالعذاب ثم أحب الله العالم فضحى بابنه الوحيد كفارة عن البشر،وأن المسيح قد حمل خطيئة العالم في جسده وجعل نفسه فدية.

"يلاحظ أن فكرة الفداء قد منحت المؤمنين بالمسيح عليه السلام مدى الأجيال أمل الرحمة والخلاص ، كما عززها الاعتقاد بأن المسيح عليه السلام سيكون قاضي الدينونة بعد الموت و كل ما يؤمن به يخلص من الخطيئة و من العذاب الأبدي"[1].استنادا إلى ما وردته الأناجيل من أقواله ." لاَ تَتَعَجَّبُوا مِنْ هذَا، فَإِنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ فِيهَا يَسْمَعُ جَمِيعُ الَّذِينَ فِي الْقُبُورِ صوته فيخرج الَّذِينَ فَعَلُوا الصَّالِحَاتِ إِلَى قِيَامَةِ الْحَيَاةِ، وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَى قِيَامَةِ الدَّيْنُونَةِ.أَنَا لاَ أَقْدِرُ أَنْ أَفْعَلَ مِنْ نَفْسِي شَيْئًا .كَمَا أَسْمَعُ أَدِينُ، وَدَيْنُونَتِي عَادِلَةٌ، لأَنِّي لاَ أَطْلُبُ مَشِيئَتِي بَلْ مَشِيئَةَ الآب الَّذِي أَرْسَلَنِي".[2]

وأيضا قوله :" منْ غَفَرْتُمْ خَطَايَاهُ تُغْفَرُ لَهُ، وَمَنْ أَمْسَكْتُمْ خَطَايَاهُ أُمْسِكَتْ".[3]

والمقصود من هذه النصوص المقدسة أن الذين عملوا السيئات يعاقبون والذين عملوا الصالحات يقومون للحياة مرة أخرى، أما المقصود من القول الثاني أن هناك حق مغفرة الذنوب في المسيحية.

(1) - هاشم يحي الملاح، مرجع سابق، ص 90.
(2)- انجيل يوحنا، الإصحاح 5: (28- 30) ص 10.
(3)- انجيل يوحنا، الاصحاح 20:(20- 23) ص 45.

والفصل الثاني هو دخول الله في التاريخ متجسدا في صورة بشرية يسوع المسيح و تضمن هذا الفصل ما يلي:

أ- تأسيسه الكنيسة المسيحية بجمعه التلاميذ بتأثره الشخصي و أسلوب حياته و تعاليمه

ب- تخليصه البشرية بوفاته على الصليب".[1]

والفصل الثالث هو تبشير العالم بالإنجيل تبشيرا مضى باتساع نطاق المسيحية.

" أما الفصل الرابع و النهائي فهو عودة المسيح للمرة الثانية إلى العالم حاليا معه يوم الحساب وإفتتاح مملكة السماء الموسومة بالكمال و المقرونة بأتم البركات".[2] ويشير إنجيل متى إلى أن تلاميذ المسيح عليه السلام قد وجهوا إليه هذا السؤال فقالوا: "قل لنا متى يكون هذا، وما هي علاقة مجيئك وانقضاء الدهر."[3]

فأجابهم إجابة عامة مبهمة عن بعض الظواهر والعلامات التي تسبق ذلك اليوم ثم قال لهم: "وأماذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا ملائكة السماء إلا أبي وحده".

أما فيما يتعلق بحياة المسيحيين وانتشار المسيحية في التاريخ،"فإن الله حاضر في صورة "الروح القدس" وبهذا المفهوم تصورت المسيحية الله في صورة ثالوث في واحد : (الأب والابن والروح القدس)، وهم يرون في "الأب" يعد صورة سامية خالق الدنيا والبشر وأنه قد

---

[1]- مصطفى حسن النشار، مرجع سابق، ص 165.
[2]- انجيل متى ، الإصحاح 24:(3) ص 46.
[3]- انجيل متى ، الإصحاح 25:(36) ص 47.

بيّن ظهور التاريخ، و يرون في "الابن" مخلصا قصد به أن يرد التاريخ إلى هدفه الذي أراده الله منه، و يرون أن "الروح القدس" هو الذي يطهر الناس في أثناء عملية التاريخ".[1]

نلاحظ وجودعلاقة بين (الأب والابن وروح القدس)فهذه الأقانيم الثلاثة ليست منفصلة عن بعضها وإنما هي ثلاثة أقانيم للإله الواحد ولا يمكن لأحدهما أن يكون مستقلا قائما بذاته، ويعتقد المسيحيون أن (روح القدس) بصفته الأقنوم الإلهي الثالث يؤدي دورا عظيما في حياة البشر والكنيسة ،وهناك نقطة جوهرية في هذا التصور هي الاعتقاد بأنه بعد تلوث البشر بالخطيئة التي جرت على يد آدم ، صار من الضروري أن يجيئ الله إلى التاريخ في صورة بشرية.

وقد قامت الرؤية المسيحية للتاريخ، على ثلاثة مفاهيم محورية من مفاهيم الفكر التاريخي ونعني بها مفاهيم (الزمان وصيرورة والغائية) المرتبطة ببعضها البعض وعلينا محاولة التمييز بينها.

أ)ـ"الزمان: إن مفهوم الزمان مفهوم مضطرب في المسيحية ويستشهدون الباحثون بالمفارقة المسيحية الشهيرة:من جهة أن الله خلق آدم الذي أخطأ هو وذريته بالخطيئة حتى جاء المسيح فحقق الخلاص للإنسانية , ومن جهة أخرى أن الله خلق في البدء كل شيء في

[1]ـهاشم يحي الملاح ، مرجع سابق ص 89.

المسيح ما يعني أنه خلق الخطيئة فيه"[1]. والجدير بالملاحظة أن الكتاب المقدس بدأ بآية تشير إلى الزمان " في البدء خلق الله السماوات والأرض"[2].

ب)-"صيرورة التاريخ وغايته:لم تميز العقيدة المسيحية من حيث هي نصوص مقدسة بين الزمان والأبدية وبين الزمان والتاريخ،وأبرزت المسيحية أهمية الزمان لأنه هو الوعاء الذي تجسد فيه الله في الإنسانية ليصحح مسار التاريخ البشري. فالزمان هو مجال الله والتاريخ هو مجال الإنسان، فالله هو المتحكم الوحيد في التاريخ في صيرورته وفي غايته".[3]

وقد وضعت المسيحية التاريخ على أساس مبادئ أهمها:

أ)-"إن أهم ما في الحياة هو الاتجاه الروحي الداخلي وهو اتجاه أساسه الحب الخالص للنفس".[4]

بمعنى أن الشيء الأساسي في الحياة هو الجانب الروحي وعلى الإنسان أن يفضل الحياة الأبدية ويجب الابتعاد عن الأنانية وعدم إهمال جانب الله والتوجه بالقلب إلى الأخرين "وأن الله يغفر خطايا البشر فيجب على الإنسان الصفح والعفو عما يبدو من الآخرين.

ولقد شرح يسوع للناس كيف يعيشون في التاريخ حينما أمرهم بالصلاة لله، و استخدام ما وهبهم الله من مواهب على ألم وجه، والإحسان لمن مستهم الحاجة أو الآلام، وعمل الخير من أجل البر لا من أجل إطراء الناس و معاملة الناس جميعا كأخوة، وبهذه التعاليم التي

---

[1]- زينب محمود الخضيري ، مرجع سابق ، ص 37.
[2]- سفر التكوين، الإصحاح 1: (1) ص1.
[3]- زينب محمود الخضيري ، مرجع سابق ، ص 40.
[4]- مصطفى حسن النشار، **فلسفة التاريخ (معناها ونشأتها وأهم مذاهبها)**، مرجع سابق، ص 166.

غرسها المسيح في قومه أرسى مبادئ خلقية من شأنها بناء حضارة إنسانية شاملة وهذه ما دعمها الإسلام بعد ذلك أعظم تدعيم".[1]

ب)–وقد تضمنت جميع الفرق المسيحية اعتقاد بأن الله وثيق الاهتمام بالتاريخ وكلها اعترفت على اختلافها بالاستمرار الروحي بعد الحياة الدنيا.

وهناك ثلاث نظريات تدور حول المصير النهائي للأفراد يعتقد فيها المسيحيون وهي:

1)– "مذهب الخلاص الشامل:وأساسه أن الناس جميعا بلا استثناء سيبلغون في النهاية درجة الكمال.

2)–مذهب الخلاص المشروط:وأساسه أنه لن يدوم إلا من استحق الاستمرار بقائه فأما جميع من عدا هؤلاء فسيبيدون.

3)– مذهب السعادة الأبدية أو الخسران المبين : وبمقتضاه تحرز الأرواح الطيبة سعادة السماء ويقاسي الخبيثون شرا أبديا هو جحيم البعد عن الله، ومعنى هذا أن التاريخ الأرضي لا يحتوي على معنى كامل في ذاته .

ج)– إن التاريخ الماضي بأكمله في نظر المسيحية تاريخ اليهود الإغريق والرومان كان بمثابة التمهيد لمجيء المسيح بأنه الكائن الإلهي الذي نشده فلاسفة اليونان".[2]

" كما أن التاريخ القادم ينبغي أن يكون وسيلة لتحقيق الغاية التي من أجلها جاء المسيح والتجسد والصلب والقيامة والصعود تؤلف الحقائق الإيمانية في التاريخ, تلك الحقائق التي

---

[1] ـ مصطفى حسن النشار ، مرجع سابق، ص 167.

[2] ـ مرجع نفسه، ص ص 167.

يتضح بالرجوع إليها أهميته وتنحصر هذه الأهمية في أن يتحقق للبشر كل ما تنطوي عليه العلاقات الطيبة مع الله "،[1] وبذا يتجلى أن الفكرة المسيحية عن التاريخ فكرة دينية أساسها ومدارها الإتصال بالله ، ولكنها في المقام الثاني فكرة خلقية تتركز حول النزاهة الشخصية.

ونستنتج مما تقدم أن المسيحية جعلت التاريخ عبارة عن مسرحية تضمنت خطيئة آدم والتجسد والفداء، والسعي إلى ملكوت الله في الأرض ويرتبط ظهور ملكوت الله عند المسيحيين بظهور المسيح على الأرض وانطلاقه للتبشير بدعوته بين الناس، وكان التفسير المسيحي للتاريخ تفسير ديني لاهوتي كما يرى المسيحيون أن الكنيسة قد أخذت على عاتقها مسؤولية التبشير بتعاليم المسيح، حيث تتمتع الكنيسة بكامل سلطات المسيح التشريعية، كما تتمتع بالعصمة من الخطأ وذلك لأن سلطتها مستمدة من المسيح عليه السلام مباشرة.

المبحث الثاني:العناية الإلهية وغاية التاريخ

يعتبر محرك التاريخ قضية من قضايا فلسفة التاريخ الأساسية التي عالجها القديس أوغسطين معالجة لاهوتية. فمن الذي يحرك التاريخ في رأى أوغسطين؟ وما هو دور البشر في صنع تاريخهم؟

[1]- هاشم يحي الملاح: مرجع سابق، ص 91 .

"ونجد القديس أوغسطين في تفسيره للتاريخ البشرية استخدم مفاهيم لاهوتية خالصة وهي ستة مفاهيم ولن تتضح لنا إلا إذا ربطناها بالظروف التاريخية التي صاغها أوغسطين فيها ، ومن أجلها كان الدفاع عن المسيحية:

1)- اللطف الإلهي: كان يشغل القديس أوغسطين في المقام الأول اللطف الإلهي والذي من أجله عالج كل مفاهيم اللاهوتية كما لقب الفيلسوف الإلهي ، فقد ركز في هجومه على مذهب "بيلاج" على مفهومه الخاطئ عن اللطف، ولتسيير العرض والإيضاح نرى معالجة الخطيئة الأولى عنده معالجة منفردة."[1]

2)- الخطيئة: "أكد أوغسطين على هجومه لبيلاج وأنصاره عدة حقائق أولها أن الخطيئة الأولى هي التي حرمت آدم وحواء من نعمة الخلود وطردهما من الفردوس عند قيام إبليس بإغوائهما ووقوعهما كضحية، وهذا ما هو موضح في المقولة:"وجد خائنا للحقيقة ، خارج جماعة الملائكة القديسين، ممعنا في الثورة ضد خالقه، متحيرا ، متباهيا بقدرته الشخصية التي غش بها".[2]

والمقصود من هذه المقولة أن إبليس جاء متباهيا بقدرته الشخصية لإغواء البشرية ووقوعهم في المعاصي والمهالك.

[1]- زينب محمود الخضيري ، مرجع سابق ، ص 71.
[2]- يوسف كرم ، مرجع سابق ، ص 45-46.

"وبعد ارتكاب آدم للخطيئة فرض الله عليه وعلى ذريته التي لوث بذورها بالرذيلة ، وعلل أوغسطين بأن الخطيئة الأولى مختلفة عن سائر الأخطاء التي يمكن للجنس البشري أن يرتكبها من حيث أنها لست من قبيل الأفعال التي تنسب لصاحبها فحسب وإلا نسبت لآدم دون غيره من أبناء ذريته ، وبسبب خطيئة آدم أصبح كل جنس بشري يعاني في الحياة الدنيا، لكن بفضل الله رحمة بالإنسانية وحبا لها تجسد في المسيح ليفديها ويخلصها من خطيئتها الأصلية.

إذن فخطيئة آدم الأولى ليست خطيئة عادية بل هي عصيان وتمرد على الله ولأنها كذلك فقد تحملت الإنسانية كلها وزرها لأن الإنسانية تكون وحدة متكاملة مع بعضها البعض، وهذا ما نجد القديس أوغسطين فسرها ببراعة".[1]

3)- الجزاء والقدر وعلم الله المسبق: "ترتبط هذه المفاهيم الثلاثة إرتباطا عضويا في مذهب القديس أوغسطين, ولابد من البدء بمفهوم الجزاء لأنه بمثابة المحور الذي يدور حوله المفهومان الأخريان. وجد القديس أوغسطين إذ ربط اللطف الإلهي بالجزاء أي جعل اللطف جزءا من الله على أفعال البشر،يكون قد قيد بشكل ما حرية الله المطلقة ، ومن جهة أخرى إذ فصل فصلا تاما بين الجزاء واللطف بحيث لا يخضع هذا الأخير إلا لحرية الله المطلقة ، واختار أوغسطين الجهة الثانية لاتفاقها مع العقيدة، فصل أوغسطين بين الجزاء واللطف فصلا تاما جاعلا هذا الأخير خاضعا لإرادة الله وحده ولا علاقة له بأعمال البشر،إن اللطف

[1]- زينب محمود الخضيري ، مرجع سابق، ص 83.

هو المحرك الوحيد للتاريخ ، واعتبر أوغسطين القدر بمثابة تمهيد للطف وقضية القدر عنده قضية لاهوتية".[1]

4)- إرادة الله و إرادة الإنسان: ويعرفها أوغسطين بأنها "القدرة على قبول تصور ما أو رفضه"،[2]" فعلاقة ارادة الله بإرادة الإنسان من أهم قضايا لاهوت التاريخ بشكل عام ومن أهم القضايا الأوغسطينية بشكل خاص.يلاحظ أوغسطين أن البشر يميزون بين الخير والشر ولكنهم لا يفعلون الخير دائما، فأغلبهم يرغب في ذلك ولكنه لا ينجح ، وفسر ذلك بأن الأهواء هي التي تعوق تحقيق الإنسان لإرادته وهي التي تكبل حريته. فالله وحده هو الذي في إمكانه أن يساند الإنسان فيخلصه من هذه الأهواء ويجعله يختار الخير، ويعجز أوغسطين عن التفسير إرادة الله وهو يعالج علاقة ارادة الله بإرادة البشر ويكتفي بتقرير الحقائق الإيمانية المسيحية، وكان يشغل أوغسطين في المقام الأول هو ارادة الله لا ارادة البشر.[3]

"وينطلق القديس أوغسطين في فهمه للتاريخ من مسلمة دينية تقول أن الله كلي القدرة والمعرفة، وهو غير خاضع لأي نوع من أنواع الضرورات ، فقد خلق الطبيعة ، ويستطيع إذا

---

(1) – زينب محمود الخضيري، مرجع سابق، ص 54.
(2)- يوسف كرم ، مرجع سابق ، ص 39.
(3)- زينب محمود الخضيري ،مرجع سابق ، ص ص 91-92 .

أراد أن يغيرها وهو سبحانه على علم بما كان وبما سيكون وباختصار فإن الله يقرر مستقبل التاريخ".[1]

"وهكذا فإن التاريخ كما يفهمه القديس أوغسطين"يدور حول كل من المؤقت والأبدي، فالله أبدي وهو خالق الزمان ، ولا يجوز فهم الأبدي ولا وصفه من وجهة نظر المؤقت، فإن الله في إطار التاريخ البشري هو العناية، فشئون التاريخ الأرضي يتولاها الله ويحكمها كما يشاء وعدم ترك ممالك البشر خارج قوانين العناية .وذلك فإن العالم عند أوغسطين انسجام تام فهو منتظم ومتناسب الأجزاء وهذا النظام المتمثل في العالم يدل على أن الله يرتب الأشياء حسب الغاية التي ينشدها".[2]

ويعني من هذه الفكرة أن الله خالق التاريخ فالتاريخ البشرية يسير بمشيئة الله وعنايته و خلق العالم في نظام واتساق منسجم.

"وقبل أن نتحدث عن نظرية العناية الإلهية عند أوغسطين يجب أن نحدد أولا مدلول هذه النظرية، فالنظرية العناية الإلهية تشير إلى أن التاريخ "مسرحية ألفها الله ويمثلها الإنسان" أي بعبارة أخرى أن وقائع التاريخ تخضع للمشيئة الإلهية، وعلى ذلك فهذه النظرية تنكر القول بالمصادفة لأنها لا تعني إلا الفوضى أو العبث[3]، "والإيمان بالعناية الإلهية في التاريخ يقتضي إيمانا بالله ومن ثم فإنها ليست مجرد نظرية فالعناية الإلهية مقتصرة على شعب الله

(1)- هاشم يحي الملاح، مرجع سابق، ص 94.
(2)- مصطفى حسن النشار، **فلسفة التاريخ (معناها ونشأتها وأهم مذاهبها)**، مرجع سابق ،ص 168.
(3)- مرجع نفسه ،ص 168.

المختار[1]،"وانطلاقا من مفهوم العناية الإلهية فإن أوغسطين يرى أن أحداث التاريخ تسير بخط مستقيم إبداء من خلق آدم (بداية التاريخ) وانتهاء بيوم القيامة (حيث تكون نهاية التاريخ)[2] ، وهو يؤشر في هذه المسيرة سبعة حقب رئيسية ، كان لكل واحدة منها خصوصيتها ، وهي لن تتكرر

وهذه الحقب هي:

1_من آدم إلى الطوفان في زمن نوح عليه السلام.

2- من الطوفان إلى إبراهيم عليه السلام.

3- من ابراهيم عليه السلام إلى داود عليه السلام.

4- من داود عليه السلام إلى أسر اليهود في العراق.

5- من أسر اليهود إلى ولادة المسيح عليه السلام.

6- العصر الحالي (الذي نعيش فيه) والذي يستمر إلى يوم القيامة.

7- الحقبة الأخيرة التي يأتي فيها ملكوت المسيح. ويقصد بهذه الحقبة استراحة الله.[3]

وفي كتابه "مدينة الله " يوضح اوغسطينوس" أن هناك نوعين منا المجتمعات يسيران جنبا الى جنب، واحد منهما هو" جماعة المؤمنين" الذين تربطهم معا محبة الله، المؤسس على

(1)- أحمد محمود صبحي، مرجع سابق، ص166.
(2)- هاشم يحي الملاح ، مرجع سابق ، ص 95.
(3)- رأفت غنمي الشيخ، فلسفة التاريخ ، مرجع سابق ، ص 82.

حب السلطان ، وهذا الحب هو الصورة السياسية للكبرياء ومحبة الذات .هاتان المدينتان تسيران جنبا إلى جنب حتى نهاية الزمان؛ ولكن خطة الله هي أن تنتصر مدينة الله في يوم الدينونة" .[1]

"وارتبطت وجهة نظر أوغسطين في التاريخ بالأخلاق فهو قد ذهب إلى أن الشر قد دخل بمعصية آدم, وكما أن في الإنسان نزعتين، نزعة حب الذات إلى حد الاستهانة بالله ونزعة حب الله إلى حد الاستهانة بالذات"،[2]"وهناك وجود نمطين من أنماط الحياة في التاريخ, يتألف النمط الأول من أولئك الذين يتوقون إلى الحياة وفقا للجسد وهم الذين أطلق عليهم تسمية أصحاب المدينة الأرضية أو مدينة الشيطان" [3]، فمدينة الأرض هي مدينة مواطن السلطات السياسية بأخلاقها تساند الظلم، فالحب فيها غير نقي فهي مدينة الأشرار والشعوب الكافرة لايعشون بالإيمان ويرون أن الله وسيلة للمتعة بالعالم، ويتألف النمط الثاني من أولئك الذي يتوقون إلى الحياة وفقا للروح وهم الذين أسماهم بأصحاب المدينة السماوية أو مدينة الله فهي مدينة الأبرار وغايتهم هي السعادة في الرب".

ومن خلال هذا التقسيم الأوغسطيني للعالم يبين لنا أن المدينة الأرضية تقوم على حب الذات ويتميز أصحابها بأنهم يتبعون أهوائهم ويكثر بينهم الظلم، وليس فيها خير وهي مدمرة للأنفس وأن المدينة الأرضية ليست بخالدة أما المدينة السماوية فتستقر على حب الله

---

(1) – فايز فارس ، **الأخلاق المسيحية** ، ج 2 ، (دار الثقافة للنشر،القاهرة ، ط 1 ، 1992) ص 130

(2)- مصطفى حسن النشار، مرجع سابق ، ص 69.

(3)- هاشم يحي الملاح ، مرجع سابق ، ص 96.

وفيها يخدم الأمراء ورعاياهم بعضهم في رحاب المحبة وطبقا لهذا تكون الحياة الأبدية هي الخير الأسمى تسعى للسلام الدائم. وقد لاحظ أوغسطين أن هاتين المدينتين" لم يكونا متمايزين من بعضهما في الحقبة الممتدة من آدم عليه السلام حتى عهد النبي ابراهيم عليه السلام، ثم تميزت مدينة الله من مدينة الشيطان أثر ظهور بني إسرائيل في التاريخ.

واختصاصهم بالمدينة الإلهية بالنظر لظهور الأنبياء بينهم.أما بقية الحضارات الإنسانية فقد استمرت تعيش في نمط المدينة الأرضية محرومة من الهداية الإلهية"[1]، "ولكن مع هذا الانفصال والتباين بين المدينتين، فأنهما كانا يتقدمان معا ويمهدان لظهور السيد المسيح مهد بنو اسرائيل له روحيا ومهدت له الحضارات القديمة سياسيا وفقا لتدبير العناية الإلهية. "للعناية الإلهية مقام ، لأنها الحكم في الإنتصارات كما في الهزائم ، بفرض الطاعة على الناس والسلطة لنا بين الآخرين ، ولكن بين الدول الكثيرة التي قسمت المجتمع أو مدينة إثنان فكانت عظمتهما سائر الدول في العالم هما المملكة الأشورية والإمبراطورية الرومانية وكلتا هما مختلفتان في الزمان والمكان"[2] ، ولقد انتهى التمايز بظهور المسيح ، ومن ثمة يجب أن تتم الوحدة بين الجانب الروحي ممثلا الكنيسة ، والجانب السياسي ممثلا الدولة . ولما كانت الأخيرة تسعى إلى خيرات الدينونة بينما تجعلها الكنيسة وسيلة لغاية روحية أسمى فإنه أن تخضع الدولة للكنيسة[3]. كما ورد في كتابه مدينة الله " أني أريد أن أتبسط بدروسي

---

[1]- هاشم يحي الملاح، مرجع سابق، ص 96.
[2]- القديس أوغسطين ، مدينة الله ، تر: الخور أسقف يوحنا الحلو، مج 1، (دار المشرق ،بيروت ، ط 2، 2000م) ص 7.
[3]- أحمد محمود صبحي ، مرجع سابق ، ص ص 168- 169.

مدينة الله وأفكاري حول أصلهما ونموهما والنهاية التي تنتظرانها ، بعون الله تعالى لمجد مدينة الله التي تزداد وضوحا من خلال التناقضات"[1].

لقد إنتهى القديس أغسطين من خلال تفسيره الديني للتاريخ إلى أن السلطة النهائية في قيادة المجتمع في المجالين الديني و السياسي ينبغي أن توضع في يد الكنيسة، ولقد تعرض هذا التفسير للنقد والمراجعة إلا مع بدايات عصر النهضة وقد إضطر هذا التطور مفكرا آخر من مفكري الكنيسة إلى أن يعمل على تجديد تفسير القديس أغسطين وتقديمه بصورة أكثر ملائمة لظروف العصر، وقد كان هذا المفكر هو الأسقف جاك بوسويه.

ونجد العديد من الفلاسفة الذين انتقدوا القديس أوغسطين وخاصة في" مدينة الله"و"العناية الإلهية لذا فإننا سنركز على أهم نقاط عرضها القديس أوغسطين عن "مدينة الله " و" العناية الإلهية".

1)-"فكرة العناية الإلهية كما عرضها القديس أوغسطين قد انطلقت من ثوابت المسيحية (الكنيسة)، ومن ثم فقد حصرت نفسها في إطار المنطق الديني المسيحي (اللاهوت) ولم تتجاوز إلى تقديم، ولذا قرر بعض الباحثين أنّه يتعذر النظر للقديس أوغسطين بصفته مؤسس فلسفة التاريخ"[2]."لأن ما جاء في كتاب مدينة الله لا يحتوي فلسفة ولا تاريخا فهو مجرد لاهوت.

---

[1] - القديس أوغسطين ، مرجع سابق ، ص 36.
[2]- أحمد محمود صبحي ، مرجع سابق ، ص 170.

2) _ كذلك انتقد فولتير "فكرة العناية الإلهية "من الناحية المنطقية , فرأى أن وجود الشر يتعارض مع الاعتقاد بعدالة الله وقدرته المطلقة . فتسأل :"أما أن الله قادر على أن يزيل الشر عن العالم أم لا , أو أنه يريد الشر أو لا يريده , أو أنه قادر ومريد , فإذا كان مريد إزالته يريد ذلك فمن أين جاء الشر في العالم ".[3]

وفي ضوء ما تقدم فقد رأى فولتير أنّ الله خلق العالم وفقا لقوانين ثابتة لا علاقة لها بأفعال الإنسان من خير أو شر , إنّ الله منح الإنسان العقل ليحسن استخدامه من أجل سعادته وسعادة الآخرين ومن ثم فإن التاريخ لا يسير وفقا المفهوم العناية الإلهية لدى اللاهوتيين وإنما بمقتضى العقل البشري نحو الأفضل والأحسن.

3)- لم تقتصر الانتقادات على" فولتير" فقد وإنما شاركه عدد من الباحثين المعاصرين كما نجد "ويد جيري " يقول : إن أفكار أوغسطين عن العلاقة بين إرادة الله وحرية الإنسان "تتكشف

عن تناقضات مختلفة لم يستطيع التوفيق بينهما فإن اقتناعه بأن الله كلي القدرة قد تغلب على فكرة الحرية والمسؤولية في الإنسان"[1]

[3]- هاشم يحي الملاح ، مرجع سابق ، ص103.
[1]- هاشم يحي الملاح، مرجع سابق، ص 103.

4)- كذلك نجد دلتاي Dilthey [*] " قد شدد على أهمية الحادثة وشخصيتها وضرورة فهمها فإنه يحارب بشكل عنيف كل معنى عام أو فلسفة عامة أو نظرة عامة تحاول اختصار التاريخ أو إعطاءه بعدا خاصا وخارجا عن بعده التاريخي، فهناك المعنى الديني و المقتبس من الصوفية والأديان السماوية، والمسيح والمسيحية، كالقول إن التاريخ هو وسيلة لا براز المسيح. هذا الكلام مرفوض من قبل دلتاي، وكذلك مشكلة العناية الإلهية والقضاء والقدر وتبرير الحوادث بالإيمان وخضوع لإرادة الخالق كلها مرفوضة من قبل دلتاي"[1].

[*]- دلتاي: (1833-1911م) فيلسوف مثالي ألماني أستاذ بجامعة برلين من دعاة فلسفة الحياة، تدور أفكاره الرئيسية على فكرة الروح التي تتطور ضمن أشكال تاريخية. راجع ، خلف الجراد، مرجع سابق، ص 82.

[1]- حسين محمد سبيتي ، **أعلام فلسفة التاريخ** ، (المكتب العالمي النشر والتوزيع،د ط،1996م) ص 62.

خاتمة

خاتمة

الشعور ينازعنا أن هناك جوانب تحتاج إلى تفصيل أكثر وتدقيق أعمق، غير أننا حاولنا قدر المستطاع أن نقدم صورة عن فكر القديس أوغسطين وكيف نظّر لفلسفة التاريخ ,ومن أهم النتائج التي توصلنا إليها ما يلي :

1- تعتبر فلسفة التاريخ هي ذلك العلم الذي يحاول أن يكشف القوانين الموجهة لحركة المجتمعات بوصفها علم مستقل يسعى إلى البحث عن الأسباب والعلل التي تتطور بموجبها الأمم.

2-يرى فولتير أن فلسفة التاريخ تؤدي اكتشاف الحكمة أو المعنى الذي تتحرك الأحداث الأحداث التاريخية من أجل تحقيقه .

3- السبب الأساسي لنشأة فلسفة التاريخ هو قصور المادة التاريخية عن اكتشاف مسار التاريخ وغايته.

4- ويؤكد القديس أوغسطين أن محرك التاريخ هو صراع المدينتين،وأن المسار ككل تحكمه العناية الإلهية وتنظمه، كما وضحه في كتابه "مدينة الله".

5- تعتبر مدينة الله عند القديس أوغسطين هي مدينة النور والخير بينما توازي عنده مدينة الأرض مدينة الظلمات والشر.

6- رفض القديس أوغسطين التفسير الدوري لتاريخ لا يمكن أن تتكرر كولادة السيد المسيح وأن طبيعة البحث تحليلية قللت من الجانب النقدي مثلما رفض الصدفة في تفسير التاريخ لأنها تتعارض مع العناية الإلهية.

7- اعتبر القديس أوغسطين أن الله هو المحرك الأول للتاريخ وأن الزمان والصيرورة التاريخية والغاية تسير في تقدم ومشكلة الخلق مستقيمة ومنتهية , واستطاع القديس أوغسطين استخدام الفلسفة في دراسة مسائل الاهوته كنقطة جوهرية لبداية التاريخ .

8- سقوط آدم من الفردوس الأعلى وهذا نتج عنه استمرار الخطيئة عند البشر.

9-لا يمكن فهم التاريخ عند القديس أوغسطين إلا من خلال الرجوع للمبادئ الأولى التي سارت عليها المسيحية للتاريخ في تفسيرها للتاريخ.

10- دراسة القديس أوغسطين لفلسفة التاريخ بمنظور لاهوتي عقائدي أكثر منه منظور فلسفي عقلي.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المراجع والمصادر:

أولا:المصادر:

1- الأناجيل (العهد القديم و العهد الجديد).
2- أوغسطينوس أوريليوس، الاعترافات ، تر برتي شاكر ،(دار النشر الأسقفية القاهرة، ط5، 2011)..
3- القديس أوغسطين،مدينة الله، تر يوحنا الحلو،مجلد 1،(دار المشرق، بيروت،ط2،2006).
4- القديس أوغسطين، مدينة الله ، تر: يوحنا الحلو، مجلد 2، (دار المشرق، بيروت، ط 2، 2006).

ثانيا:المراجع .

1. إبن خلدون، المقدمة، (دار الكتاب اللبناني للنشر، بيروت، د.ط،1961).
2. ابن منظور،لسان العرب ،مج 11 ،(دار الكتب العلمية ،لبنان ، ط 1 ، 1981 م).
3. إتين هنري جلسون، روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، تر:إمام عبد الفتاح إمام، (مكتبة مدبولي ميدان طلعة حرب، ط 3، 1996).
4. أحمد محمود صبحي ، في فلسفة التاريخ ،(مؤسسة الثقافة الجامعية الإسكندرية، د.ط،1970).
5. أنيس منصور، الخالدون المئة (مكتبة المصري للحديث والنشرالإلكتروني المجاني، د.ط، د.س).
6. جونو وبجوان، تاريخ الفلسفة والعلم في أوروبا الوسيطية،(مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، د.ط، 1993م).
7. حسن عثمان، منهج البحث التاريخي ،(دار المعارف للنشر ، القاهرة، ط8، 1119).

8. حسن علي،ماهي الفلسفة؟،(دار التنوير والنشر، بيروت، د.ط، 2011).
9. حسين محمد سبيتي، أعلام فلسفة التاريخ،(المكتب العالمي، للطباعة والنشر، د.ط، 1996).
10. رأفت الشيخ، تفسير مسار التاريخ ، (عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، د.ط، 2000).
11. رأفت غنيمي الشيخ، فلسفة التاريخ،(دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط،1981).
12. زينب محمود الخضري، فلسفة التاريخ عند إبن خلدون، (دار الثقافة، القاهرة، د.ط، 1989.
13. زينب محمود الخضيري، لاهوت التاريخ عند القديس أوغسطين، (دار قباء، القاهرة، د.ط، 1997).
14. عبد الحليم عويس ، فلسفة التاريخ ،(دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2011).
15. عبد الرحمان بدوي، فلسفة العصور الوسطى،(دار القلم، بيروت، ط3، 1993).
16. علي زيعور، أوغسطينوس في مقدمات العقيدة المسيحية والفلسفة الوسيطية،(دار إقرأ، بيروت، ط1، 1983).
17. فايز فارس ، الأخلاق المسيحية ،ج 2،(دار الثقافة للنشر ، القاهرة ، ط1،1992).
18. قاسم يزبك، التاريخ منهج البحث التاريخي، (دار الفكر البناني، بيروت ط1، 1990) .
19. مجموعة من المؤلفين إشراف علي عبود المحمداوي، فلسفة التاريخ "جدل التاريخ والنهاية والعدم الدائم،(دار روافد للنشر والتوزيع، بيروت، ط 1، 2010).
20. مصطفى النشار ، من التاريخ إلى فلسفة التاريخ ،(الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة،د.ط، 1998).

21. مصطفى حسن النشار، فلسفة التاريخ (معناها ونشأتها وأهم مذاهبها)،(دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2006.)
22. مفيد الزيدي، المدخل إلى فلسفة التاريخ ،(دار المناهج للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2006).
23. هاشم يحي الملاح، المفصل في فلسفة التاريخ،(دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2007).
24. ول ديورانت،قصة الفلسفة، تر، فتح الله مشعشع، (بيروت،(د.ط)، 1972).
25. يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الأروبية في العصر الوسيط ، (مؤسسة هنداوي للنشر والتوزيع ، دط، 2012م) .

ثالثا: الموسوعات و المعاجم

1. إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، (الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، (د.ط)، 1983) .
2. جورج طرابيشي ، معجم الفلاسفة ، (دار الطليعة ، بيروت ، ط3 ، دت).
3. خلف الجراد ، معجم الفلاسفة المختصر، (المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع ، بيروت ،ط1 ،2007 م).
4. جميل صليبا ،المعجم الفلسفي ،(دار الكتاب اللبناني، بيروت،د.ط، 1982) .
5. عبد الرحمان بدوي ، موسوعة الفلسفة ج1 ،(المؤسسة العربية،بيروت، ط1، 1984).
6. عبد الرحمان بدوي ، موسوعة الفلسفة ج2 ،(المؤسسة العربية،بيروت، ط1، 1984).
7. روزنتال يودين ، الموسوعة الفلسفية ، تر ، سمير كرم ،(دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ، ط1،1974 م).

ثالثا: مذكرات ومحاضرات

1. جاسم سلطان، محاضرة (أداة فلسفة التاريخ) .
2. فلسفة التاريخ، محاضرة الأولى الأكاديمية العربية الحرة في الدانمارك، (2007/10/03)
3. مزواد نسيبة ، مذكرة نيل شهادة ماجستير، جامعة باتنة، فلسفة الحضارة عند القديس أوغسطين (2011-2012).

ملخص

هدفت هذه الدراسة إلى معرفة الفكر اللاهوتي عند القديس أوغسطين وكيف طبقه في دراسة التاريخ، يعد من أهم الرجال اللاهوتيين الذين تفتخر بهم المسيحية، حيث سعى أوغسطين باجتهاده في البحث عن الأصول المسيحية في شتى المجالات الفكرية .

وهذا نتيجة لتحولاته الفكرية التي أثرت على حياته وجعلت منه شخصية بارزة في الفكر المسيحي، وأهم نظرية طبقها أوغسطين على الأحداث التاريخية هي نظرية العناية الإلهية.

واعتمدنا على منهج تحليلي تاريخي نقدي من خلال تحليله لنصوص الكتاب المقدس.

فتطرقنا في بحثنا إلى ثلاث فصول مقسمة إلى مباحث، وخلصت بالدراسة إلى مجموعة من النتائج.

Abstract

This study aimed at understanding the theological thought of St. Augustine and how it was applied in the study of history, which is one of the most important theological men who boast of Christianity, where Augustine sought his diligence in the search for Christian origins in various intellectual fields.

This is the result of his intellectual transformations that influenced his life and made him a prominent figure in Christian thought. The most important theory applied by Augustine to historical events is the theory of Providence.

We have relied on a critical historical analytical approach through its analysis of biblical texts.

In our research, we examined three chapters divided into research, and concluded the study with a set of results.